كاتب التاريخ

اسم الكتاب: **كاتب التاريخ**

اسم المؤلف: **طارق رضا**

تدقيق لغوي: **محمود بكري**

تصميم الغلاف: **علي عطية**

تنسيق داخلي: **مينا تادرس**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٣٥١**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٤٠٢**

جميع الحقوق محفوظة للناشر

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

طـارق رضـا

كاتب التاريخ

إبـهـار
للنشر و التوزيع

إهـداء

عملي الأول، كم كان من الصـــعب عليّ أن أصـــدق أنني يوماً ما ســـأكون من بين الكتبة، كنت أضـــع زيارتي لمعرض الكتاب في زي القارئ فقط لكن ها أنا الآن أقف بينكم كاتباً، في أحد الأيام ســألني أحد أصـــدقائي عن أكثر الأشـــياء التي أشـــعر بالولاء اليها فكانت اجابتي هي أصـحاب الفضـل عليَّ، وها أنا الآن في مناسـبة لنسـب ٱلفضـــل لأهله، بداية من أهلي الذين عانوا الأمرين معي في الأعوام الأخيرة وخاصـة أخي الأوسـط زياد الذي تحمل غضـبي و حزني في كثير من الأوقات وأود شكر أخي الأصغر معاذ الذي يحفزني لأكمل كتابتي بقوله "أنا عايز أبقى زيك لما أكبر". بعد أهلي يأتي دور أولٓيك الذين دعموني من أصـــدقائي، فمنهم من تســـبب في طفرة كبيرة في مستواي كشيماء عبد الله، اضافة لمن حفزني على كتابة هذه الرواية من الأســـاس وهو صـــديقي العزيز أحمد صـــلاح، وبالطبع أقرب الأصـدقاء لقلبي أحمد أشرف و محمد سـمير، وغيرهم كثيرون ممن حفزوني، وأعتذر ان كنت قد نسيت أحداً منهم، شكراً لكم جميعاً.

مرحبًا أنا عاصم، لم يكن لي يومًا رفيق درب يشاركني شغفي أو يحترمه على الأقل، كنت دومًا وحيدًا بينهم، كنت دومًا أرى نظرة الشفقة في عيونهم، فقد كانوا يروننني مختلًا مهووسًا بالتاريخ لا يستطيع أن يكمل جملة دون أن يذكر موقفًا تاريخيًا لا علاقة له بما يدور حوله الحديث، كنت وحيدًا لا يؤنسني سوى كتب التاريخ الكبيرة والكثيرة التي كنت أقرؤها في كل لحظة من لحظات وحدتي في المنزل أو خارجه، كانت كتب التاريخ رفيقتي في الحياة، أجد نفسي بين صفحاتها أرى الحياة بين سطورها أرى جمال القصص كقوس قزح الجميل بعد عواصف حزني المطيرة. كانت الحياة ترفض الابتسام لي، فقد رأيت أكثر وجوهها ظلامًا وتعاسة إلى أن جاء اليوم الذي رأيت فيه ابتسامتها أخيرًا، وإليكم قصة نجاحي الوحيد بعيدًا عن قراءة التاريخ والتي لم تبتعد كثيرًا عن التاريخ. بدأت قصتي حين صرت أسمع كلمات كثيرة لمنعي من بداية الحديث عن الشخصيات والمعارك الإسلامية أو الميثولوجيا اليونانية القديمة، كلمات مثل "كفاك حديثًا عن هذه القصص ففي كل مرة تثبت لنا أنك ناجح في دراسة التاريخ وفاشل في الحياة" و "لقد اكتفيت من حديثك عن خالد بن الوليد

وغيره من الصحابة، بسببك كدت أكرههم" و "من هؤلاء الذين تحدثنا عنهم أنت غريب الأطوار تحتاج لمعالجة نفسية "وكثير من هذا القبيل .

أعترف أني أبالغ في كثير من الأحيان بحديثي عن التاريخ لكن ماذا أفعل لا هواية لي سوى قراءة التاريخ ولم يكن أصدقاء سوى أولئك الذين ضجروا من شغفي بالتاريخ، وهنا اتخذت القرار الأهم في حياتي أن أصنع شيئًا أضع فيه شغفي ويجعل لي قيمة بين أولئك الذين تركوني وحيدًا ويعيدهم إلي راجين أن أعيدهم إلى حياتي، قررت أن أنجح للمرة الأولى في شيء ليس قراءة التاريخ ألا وهو كتابة التاريخ في شكل رواية، رواية تجعل لي قيمة بين أولئك الذين رفضوني وجعلوني أشعر أني بلا قيمة وأني كنت أتواجد معهم فقط لأكون مادة لسخريتهم سواء من شكله أو من شغفه أو من شخصيته، أفقدوني ثقتي في نفسي وهذه الرواية، هذه الرواية هي ما سيعيد لي تلك الثقة، ليس الرواية بل نجاحي في إكمال عمل كامل غير القراءة، صرت أكره القراءة لأنها من وضعتني في هذا الوضع لكن بنجاحي هذا سأعود لأعشقها مجددا، كانت القراءة سر سعادتي أثناء فعلها وسر تعاستي حين أبتعد عنها وها هي الآن تعود لتصبح سر هنائي ونجاحي الوحيد في هذه الحياة لكن في هذه اللحظة راودني هاجس الفشل وصرت أحدث نفسي عن هل حقًا سأنجح أم أنه فشل جديد سينضم لقائمة طويلة تضم محاولات فاشلة كثيرة لأشياء متعددة فمثلا لم أستطع أن أجعل جسدي متناسقا رغم محاولات فاقت العشرة في عددها وفشلي في بدء الحديث مع أي ممن كنت أطلق عليهم أصدقائي والعديد من الأشياء الأخرى، لكن سرعان ما تمالكت نفسي

وبدأت أفكر فيما سأفعله وإليكم ما دار في بالي، " هل أجعلها بصيغة المتحدث أم بصيغة الغائب؟ بالطبع صيغة الغائب فالتشويق يكون أكبر فيها حين تكون أنت عين القارئ وأذنه وأنفه ولسانه، عمن سأتحدث؟ التراث الإسلامي مليء بالأبطال لكن هناك أبطال قد تم الحديث عنهم في الكثير من الأعمال الأدبية كالصديق والفاروق رضي الله عنهما في حين أن هناك شخصيات كالقعقاع بن عمرو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم لم يأخذوا التقدير الكافي من الكتاب والأدباء فهؤلاء هم من سأتحدث عنهم باستفاضة إضافة إلى تلاحم ذكر كل منهم مع الآخر حين أقوم بسرد المعارك فيجب أن أضع في الحسبان أن أذكرهم مع بعضهم البعض لا بعد بعضهم حيث لا أعيد ذكر أي من الأحداث، الموضوع أعقد مما كنت أظن لكني سأفعلها، حسنا في البداية يجب أن أعطي لقب للأبطال الابتدائيين للرواية، خالد سيكون سيف الله المسلول، لا الا هذا اللقب تم استهلاكه كثيرًا ماذا أطلق عليه!! وجدتها سأربط لقبه بالقعقاع، القائد الذي لم يهزم والجندي الواقي من الهزائم نعم وجدتها، ماذا عن ابن العاص؟ فاتح مصر؟ لا لا تم استهلاكه أيضا، ماذا عن فاتح الفردوس؟ اسم يليق به وبمصر، عن أي من الحروب سأتحدث؟ حروب الروم والفرس؟ حسنًا هناك الكثير من الأشياء التي يمكن تدوينها إضافة لبعض الميثولوجيا اليونانية وقررت أن أبدأ في كتابة المقدمة، مقدمة لا تقل عن العشر صفحات ولا تزيد عن الثلاثين صفحة، راودني هاجس الفشل مجددًا حيث إن هذه كانت المرة الأولى لي في فعل أي نشاط يبتعد عن قراءة التاريخ، أينعم كتابتي ستكون قائمة على

قراءاتي السابقة لكني لن أضطر للقراءة مجددًا، فأنا أحفظ ما قرأت عن ظهر قلب وبدأت أشكك في قدرتي على إكمال هذا العمل لكن فجأة استجمعت قواي وبدأت أقول " استجمع قواك يا عاصم إنها لن تزيد عن ثلاثين صفحة وأنت قد قرأت ما يزيد عن الثلاثين ألف صفحة في أعوامك السابقة، أنت فقد ستدون بعض صفحات في حاسوبك النقال لن تخترق صفوف الروم المكونة من مئات الآلاف في مجموعه من أربعمائة مقاتل كما فعل عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه في معركة اليرموك حين اشتد القتال على المسلمين فنادى في الناس عمن يبايعه على الشهادة وانطلقت هذه المجموعة الصغيرة تضرب من قوات الروم كل مضرب وانتهت حيواتهم جميعًا على الشهادة بعد أن أوقعوا من الروم آلاف القتلى، أنت ستنجح لو استجمعت قواك أنت لها" وبدأت بعدها في اقتراح الجملة الافتتاحية للعمل الأدبي الذي سأبدأه فتارة أفكر في " التاريخ مليء بالقصص الملحمية وهنا سأناقش معكم القليل من الملاحم الإسلامية التي لم تأخذ تقديرًا كافيًا لما حدث فيها والقليل من الملاحم من الميثولوجيا اليونانية القديمة " فلم تعجبني وتارة أخرى أفكر في " مواقع عديدة لم تأخذ تقديرًا كافيًا لما فيها من عظمة التضحية وشجاعة كبيرة إضافة لبعض الأساطير اليونانية المشهورة " فلم تعجبني أيضًا، وبدأ التشكيك مجددًا إلى أن وصلت للجملة الأجمل على الإطلاق " الشغف هو نصيبك من الحياة، شغفك هو ما سيحدد اتجاهك في هذه الحياة وهو ما سيحدد كل شيء في حياتك، هو سر سعادتك وسر تعاستك هو الشيء الذي يصطحبك لأعلى درجات السعادة ويهبط بك

لأعمق أعماق الحزن، هو ما قد يقربك من الناس وما قد يبعدك عنهم، هو باختصار جهاز التحكم في حياتك والشيء الوحيد الذي لن يخذلك في الحياة فهو لن يتغير، قد يتسبب في إحباطك وحزنك لكنه أبدًا لن يخذلك، وأنا شغفي قد أحبطني وتسبب في حزني " وأعجبتني هذه الجملة بشدة، ومن الآن سأتحدث عني بصيغة الغائب كي تشعروا بما كنت أشعر به وترون ما كنت أراه وتسمعون ما سمعت وإليكم المقدمة التي كتبها:

" الشغف هو نصيبك من الحياة، شغفك هو ما سيحدد اتجاهك في هذه الحياة وهو ما سيحدد كل شيء في حياتك، هو سر سعادتك وسر تعاستك هو الشيء الذي يصطحبك لأعلى درجات السعادة ويهبط بك لأعمق أعماق الحزن، هو ما قد يقربك من الناس وما قد يبعدك عنهم، هو باختصار جهاز التحكم في حياتك والشيء الوحيد الذي لن يخذلك في الحياة فهو لن يتغير، قد يتسبب في إحباطك وحزنك لكنه أبدًا لن يخذلك، وأنا شغفي قد أحبطني وتسبب في حزني، أنا عاصم طالب بكلية الألسن في الفرقة الثالثة أعاني الأمرين في حياتي الاجتماعية بسبب شغفي بالتاريخ، دعوني أعطيكم ملخصًا عن شغفي وحياتي بعده، بدأ الأمر في الصف الأول الإعدادي في حصص الدين حيث كان أستاذ التربية الدينية الأستاذ حسن عادل يقص علينا في كل حصة قصة من التراث الإسلامي بعضها كان زائفًا لكن أغلبها كان حقيقي وأنا أحفظهم جميعًا عن ظهر قلب، أذكر قصة زائفة وفقًا لكل مصادر التأريخ بل واتُهم صاحبها من قبل البعض بالزندقة، أذكر قوله:

(اليوم يا أبنائي سأقص عليكم قصة من قصص الفتوحات الإسلامية، قصة تثبت أن للعامل النفسي دور كبير في تغيير مجرى الحروب، الجنود دوما ما كانوا يبحثون عن حافز يقوي من عزيمتهم ويثبط من عزيمة منافسيهم، والفرس كانوا أساتذة وخبراء في الحرب النفسية فبعيدا عن استخدام الأفيال كانوا يستخدمون سباعًا مدربة تنهش في لحوم أعدائهم وتقتل الباقين رعبا، وفي معركة القادسية اصطحب الفرس معهم ضرغاما جسورًا مدربًا وأطلقوه نحو المسلمين فوقف المسلمون في حالة ذهول وكانت قلوبهم ترتجف رعبًا إلى أن تقدم رجل مغوار فاق في شجاعته قطيع كامل من الأسود وأخذ يردد " أنا له والله أنا له "، هذا الرجل هو الصحابي الجليل هاشم بن عتبة رضي الله عنه، تقدم سيدنا هاشم نحو الليث وأشهر سيفه وقفز فوق الأسد وراح يطعن الأسد إلى أن خر صريعًا فأخذ المسلمون يهللون ويكبرون وانقلب السحر على الساحر وفزع الفرس فكيف لمن لا يخشون الأسود أن يهزمهم بشر، وانتهت المعركة بنصر كاسح للمسلمين كسروا به شوكة الفرس الذين كانوا قوة عظمى في العالم آنذاك واعترف العالم بأن المسلمين صاروا قوة عظمى جديدة في العالم تفرض نفسها بقوة لا إله إلا الله وفدائيتهم تجاهها)

ومنذ سماعي لهذه القصة زاد تعلقي بالتاريخ، وأذكر أيضًا حين طلب منا إحضار أدوات التنظيف وتجاهلنا طلبه فقارن موقفنا بموقف يوم أحد حين تجاهل الرماة أمر الرسول ونزلوا لجمع الغنيمة ظنا منهم أن المعركة قد انتهت بانتصار المسلمين، أذكر كل كلمة قالها حيث قال:

(بما أنكم تجاهلتم طلبي سأقص عليكم قصة يوم أحد حين تجاهل الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم ترك الهضبة العالية التي أوقفهم عليها، سأروي عليكم قصة المعركة وأخبركم بعدها لم طلبت منكم أن تحضروا أدوات التنظيف، بدأ الأمر حين ذهب عكرمة ابن أبي جهل وصفوان بن أمية وعبد الله بن ربيعة إلى أبي سفيان طالبين منه أن يزودهم بمال قافلته - ويقدر بخمسين ألف دينار – ليحاربوا المسلمين فوافق أبوسفيان على طلبهم وأرسلت قريش رسلها اللقبائل محفزين إياهم على قتال المسلمين وفتحت باب التطوع لقوم قبائل الأحباش وكنانة وأهل تهامة فاستطاعوا جمع ما يزيد عن الثلاثة آلاف مقاتل ومثلهم من البعير ومئتان من الخيل وحمل لواءهم بنو عبد الدار، بينما كان عدد المسلمين لا يزيد عن الألف انسحب منهم ثلاثمائة مقاتل، لمواجهة فرق العدد والعتاد أمر الرسول وخمسين من الرماة بالوقوف فوق هضبة مرتفعة في موقع المعركة وأمرهم ألا يتركوا مكانهم سوى بأمر منه بنفسه حيث قال لهم " ادفعوا الخيل عنا بالنبال " وحين بدأت المعركة كان قائد المشركين هو أبو سفيان ويقود مجموعة الفرسان على ميمنة قوات المشركين خالد بن الوليد قبل إسلامه وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، كان اختيار الرسول لمكان المعركة جيدًا حيث كانت المدينة أمامه وجبل أحد خلفه ليمنع المشركين من الالتفاف حول جيش المسلمين، تولى مجموعة من الأنصار حماية الرسول صلى الله عليه وسلم منهم سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة وغيرهم، عند وصول أبي سفيان للمدينة أخذ ينادي أن أهل مكة لا يريدون قتال يثرب وعرض عليهم انتهاء الحرب مقابل تسليم النبي صلى

الله عليه وسلم ومن معه وقوبل عرضه بالاستنكار والشتائم فأخذت هند بنت عتبة زوجته تنادي وتمدح في بني عبد الدار وبدأت المعركة حين هتف الرسول في رجاله " أمت، أمت " واستطاع المسلمون قتل حملة اللواء من بني عبد الدار، في هذه الأثناء تشكل المسلمون في هيئة كتائب صغيرة متفرقة واستطاع الرماة أن يصيبوا من خيل المشركين كثيرا، بعد انهزامهم شر هزيمة ألقى المشركون دروعهم وتروسهم تمهيدًا لانسحابهم وهنا صاح أربعون من الرماة " الغنيمة، الغنيمة " وتركوا مكانهم بعد انسحاب مقدمة جيش المشركين بينما بقيت ميمنة ابن الوليد وميسرة ابن أبي جهل في مكانهما وعند نزول الرماة أطبق الجناحان على وسط جيش المسلمين في حركة سريعة اقترحها خالد بن الوليد واستطاعوا الوصول المكان الرسول صلى الله عليه وسلم وكسرت خوذة الرسول وجرحت جبهته الشريفة، فعند الهجوم على الرسول تفرق عنه أصحابه فأخذ ينادي " إلي يا فلان، إلي يا فلان " فتجمع حوله سبعة من الصحابة، وهنا جاء دور العامل النفسي فحين قتل أحد المشركين الصحابي مصعب ابن عمير ظن أنه قتل الرسول فصاح " قتلت محمدًا " وانتشر الخبر كالنار في الهشيم واستطاع هذا الخبر أن يثبط من عزيمة المسلمين فمنهم من ألقى سيفه بينما الرسول حي يشتد عليه القتال، وإذا به يقابل أبي بن خلف الجمحي وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أقسم على قتله فقال " أنا أقتله إن شاء الله " فحين رآه صاح ابن خلف " يا كذاب أين تفر " فطعنه الرسول فخر صريعًا يخور خوار الثور، ومضى النبي ينادي المسلمين إليه واستطاع بالرجال القلائل الذين معه أن يصل

إلى الجبل فذهبت إليه الجماعة التي كانت تحتمي بصخرة عظيمة في موقع المعركة وصاروا يدافعون عن النبي صلى الله عليه وسلم، أثناء انفراد الرسول وسبعة من الأنصار باثنين من أقوى مقاتلي المشركين فقال الرسول " من يردهم عني وله الجنة " فتقدم رجل من الأنصار يقاتلهم حتى قُتل فردد الرسول مرة أخرى " من يردهم عني وله الجنة " فتقدم رجل آخر يقاتلهم حتى قُتل فرددها الرسول حتى قُتل من معه كلهم، وفي أثناء المعركة قُتل من قريش أربعة من السادة وكلهم أبناء سفيان ابن عويف الكناني وكان لمقتلهم سببًا في فتور رغبة قريش في مقتل النبي . حين احتمى النبي ومن معه بالجبل استطاع من معه من الرماة ردع من أراد تسلق الجبل من المشركين وتجمع حوله أصحابه من كل مكان وأمرهم النبي أن ينزلوا المشركين من القمة التي أخذوها في الجبل فأخذوا يلقونهم بالحجارة حتى نزلوا عنها، حين انسحب المشركون ظن المسلمون أنهم ينسحبون ليهاجموا المدينة فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم سيدنا علي أن يذهب وراءهم فإن امتطوا الخيل فإنهم يقصدون المدينة وإن امتطوا البعير فإنهم يقصدون بكة وأقسم أنهم لو أرادوا المدينة فإنه مقاتلهم عنها فحين عاد سيدنا علي قال إنه رآهم يمتطون البعير فاطمأنت قلوب المسلمين، بعد احتماء المسلمين بجبل أحد جاء هم أبو سفيان وأخذ ينادي " أفي القوم محمد " ورددها ثلاثا ولم يرد أحد فنادى " أفي القوم ابن أبي قحافة " فلم يرد أحد فنادى " أفي القوم ابن الخطاب " فلم يرد أحد فقال أبوسفيان لأصحابه " أما هؤلاء فقد قتلوا " فلم يتمالك سيدنا عمر نفسه وقال "كذبت والله إن الذين عددتهم الأحياء

كلهم" فقال أبو سفيان "الحرب سجال أعلى هبل، يوم بيوم ببدر" فرد الرسول صلى الله عليه وسلم "الله أعلى وأجل لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار"، وفي موقعة أحد تضحيات عديدة منها مثلا سيدنا أبو دجانة حين رأي المشركين يجرحون جبين الرسول الشريفة ويكسرون أنفه ارتمى فوق النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ يتلقى بدلا منه العديد من الطعان وعددًا من الأسهم، والآن جاء دوركم لأعلمكم لم طلبت منكم أدوات التنظيف، فصلكم مليء بالقمامة وبعيدًا عن أن النظافة من الإيمان فالقمامة تلك قد تتسبب في أمراض عدة أنتم في غنى عنها والآن لننتقل لدرسنا)

ومر العام وأنا أنتظر كل أسبوع حصة الأستاذ حسن إلى أن انتهى فصرت في الأعوام التالية أذهب إليه في حصص الأنشطة وفي الاستراحة بين الحصص ليقص علي هذه القصص الرائعة إلى أن جاء اليوم الذي غير فيه الأستاذ نوع القصص وقص علي قصة من الأدب اليوناني القديم أو ما يطلق عليه الميثولوجيا الإغريقية عن نشأة الكون حيث قال

(اليوم سأقص عليك قصة مختلفة من التاريخ اليوناني بدلا من القصص الإسلامية، سأخبرك بنظريتهم في نشأة الكون، أتعلم ما معنى كلمة فوضى بالإنجليزية، تعني chaos كان كاوس هو البداية فراغ وظلام سبق كل شيء، إلى أن ظهرت غايا وهي الأرض وبعض الكائنات الإلهية الأولية مثل تارتاروس وهو الجحيم وإيروس وهو الحب وإيريبوس وهو يمثل العالم السفلي، بدون أي مساعدة من ذكر أنجبت غايا أورانوس والذي يمثل السماء والذي قام بإخصابها وأنجب منها ستة أزواج من

التيتانيون أو الجبابرة آخرهم كرونوس، بعد كرونوس اتفق الاثنان ألا ينجبا المزيد من التيتانيون لكن أنجبا بعد ذلك سايكلوب وهكاتونكاير فلم يسمح لهم أورانوس بمغادرة غايا، كان الشر يجري في عروق الجبابرة وأورانوس مجرى الدم، فبعد قرار أورانوس بعدم خروج سايكلوب وهكاتونكاير من غايا انقلب عليه كرونوس وقام بإخصائه بمنجل صنعه من أحشاء غايا محررًا إخوته العالقين داخل غايا، بفضل المني المتساقط من قضيب أورانوس ؤلدت أفروديت إلهة الجمال . بعد ذلك أصبح كرونوس ملكًا للجبابرة وتزوج أخته ريا وأصبح باقي الجبابرة حاشية بلاطه . أنجب من ريا الآلهة الجديدة وهم هستيا، ديميترا، هيرا، هاديس وبوسيدون وزيوس وخوفًا من نبوءة أبيه الذي تنبأ أن أحد أبنائه سينقلب عليه قام بابتلاعهم جميعًا ما عدا زيوس الذي وضعت أمه مكانه حجرًا ووضعت عليه قماشًا فابتلع كرونوس الحجر ظنا منه أنه زيوس، شب زيوس في كهف مختبئًا من أبيه وحين شب استطاع أن يجعل أباه يشرب خليطًا جعله يتقيأ إخوته واستطاع بمساعدتهم ومساعدة السايكلوب الذين شكلوا له الرعد والبرق ليضرب بهم وبعد حرب دامت عشرة سنوات أن ينتصر على أبيه واستطاع أن يحبسه وكل الجبابرة في تارتاروس وحكم زيوس وإخوته الكون من جبال أوليمبوس، لكن هذه أسطورة يا ولدي لكن الحقيقة ذُكرت في القرآن حيث قال تعالى:

" أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء كي أفلا يؤمنون " وهذه هي قصة اليوم يا عزيزي والآن أذهب لحصتك والمرة القادمة التي تأتي إلي فيها لك عندي مفاجأة) بعد

انتهاء هذه القصه ظللت أسبوعين بعيدًا عنه أفكر في هذه المفاجأة وظننت أنها قد تكون كتبًا للتاريخ أقرأها بنفسي وحين ذهبت صدق ظني وأعطاني مجموعة من عشر كتب وطلب مني قراءتها وتلخيصها قبل نهاية العام الدراسي لكني فاجأته أن بانقضاء أقل من شهرين أحضرت له الكتب وملخصاتها فسُر بها وأعطاني مجموعة أخرى وطلب الشيء ذاته، ومن هنا بدأ شغفي بالقراءة، وما زلت على تواصل مع الأستاذ حسن لليوم باستثناء الشهرين الأخيرين، دعوني أغوص بكم في حياتي قليلا قبل أن أصطحبكم في رحلة مع التاريخ، أنا عاصم وكما أخبرتكم سلفًا أنا أعاني بسبب حبي وشغفي للقراءة في التاريخ، كان رفيق دربي رجل يكبرني بعشرين عاما وهو الأستاذ حسن الذي دوما ما يشاركني كل جديد يقرؤه وكذلك أفعل معه، لم يكن لي أصدقاء في مرحلة التعليم قبل الجامعية على الإطلاق فقد كنت أكتفي باستذكار دروسي وقراءة الكتب التي كان يزودني بها الأستاذ حسن أو التي كنت أشتريها بنفسي إلى أن قررت أنه يجب أن يكون لي أصدقاء من عمري بعد دخولي الجامعة، وهنا بدأت المعاناة فأنا بسبب عزلتي مع الكتب فقدت أغلب المهارات الاجتماعية فصرت كطفل صغير بالكاد ينطق أسماء أهله وضعه أحدهم في غرفة مليئة بالناضجين وهو جالس ينتظر دوره للحديث لكن دوره لا يأتي أبدا، هكذا كنت وهكذا أكون وهكذا سأكون لو لم ينجح هذا العمل، كانت حياتي عبارة عن مجموعة من كتب التاريخ لم أعلم طريقة التعامل مع غيرها، كان البشر بالنسبة إليَّ كائن لا أستطيع التعامل معه لكني تغلبت على ضعفي واستطعت أن أضع نفسي وسط مجموعة من

زملائي وأجد لنفسي مكانا بينهم لكن كانوا دائما يتذمرون بسبب كثرة قصي للتاريخ، كنت أشعر دائما أن لا مكان لي بينهم إلى أن أظهرت الحياة وجهها القاسي لي، في حياتي رأيت وجوها كثيرة للحياة منها الوجه المبتسم والوجه العابس والوجه الكريم والوجه القاسي وغيرهم وبحكم قراءتي للتاريخ فإني أعلم أن للحياة وجوها أكثر من أن تحصى فلم أكن أتفاجأ من تغيير وجوهها لكن ما كان يفاجئني حقًا هو سرعتها في تغيير وجهها فبعد أن رأيت وجهها العابس حين انقلب من كنت أطلق عليهم أصدقائي علئ وبدأوا في إطلاق سخريتهم علي والتقليل من شأني أظهرت لي وجهها المبتسم حيث وجدت نفسي في مجموعة أخرى، مجموعة شعرت أن لي مكانا بينهم حتى حين كنت أغيب عنهم كانوا دوما يتصلون بي ويسألون عن حالي وعن السبب وراء تغيبي، كنت أشعر أنهم يحبوني حقا، ولكن الحياة لم تحتفظ بوجهها المبتسم طويلا فلم أستطع أن أقاوم رغبتي في قص التاريخ عليهم، حينها اكتشفت أن العيب لم يكن في المجموعة السابقة بل كان في قصي للتاريخ فأنا أبالغ في الأمر فبدأ أفراد المجموعة الجديدة أيضًا في السخرية مني سخرية لاذعة وهذا ما دفعني لكتابة هذا العمل فأنا أحتاج لنجاح يزين شغفي ويرفع من شأني بين الجميع ويجعلني محل الفخر بدلا من كوني محل السخرية والآن هيا بنا نبدأ رحلتنا مع التاريخ الإسلامي واليوناني."

هكذا كانت مقدمته، لم يتمالك نفسه وأخرج كل ما فيه، لم يستطع أن يكتم سبب حزنه فهو منعزل لما زاد عن الشهرين، كانت آخر مرة تحدث فيها مع أحد حين تحدث مع أستاذه ورفيق دربه عن زيف الواقعة التي خلقت شغفه تلك الواقعة التي رواها الأستاذ بنفسه عن الصحابي هاشم بن عتبة وأسد الفرس يوم القادسية فكان رد الأستاذ مثاليا حيث قال:

"ها ها أنا أعلم بالطبع أنها واقعة زائفة وأن راويها تم اتهامه بالزندقة، لكن أحيانًا يجب على الصياد أن يستخدم طعما زائفًا كي يصطاد سمكة واحدة من السمك الذي يملأ البحر، وهذه القصة كانت الطعم الزائف وكنت أنت وزملاؤك السمك الذي يملأ البحر وكنت مكتف تماما بطالب واحد يتعلق بالتاريخ وكنت أنت هذا الطالب يا عزيزي " أثلج رد الأستاذ صدر تلميذه النجيب لكنه لم يكفيه حاجته لاعتذار، كان عاصم يحتاج الاعتذار من أستاذه عن خداعه، اعتذار أن حياته كلها بنيت على خدعة، اعتذار على تعلقه بقصة لم تحدث في الحقيقة، لكن الأستاذ لم يعتذر وكان هذا الأمر صادمًا لعاصم حيث إنه يعلم أن أستاذه لا يستكبر عن الاعتذار فما صدم عاصم حقًا كان أن أستاذه يرى أن الأمر غير جدير

بالاعتذار، كل هذا الشغف الذي بُني في الأساس على قصة وهمية لا يستحق اعتذارًا ضعيفًا حتى، كان الأستاذ آخر من تبقى له في هذه الحياة، فوالده قد مات وهو في سن صغير وأمه ماتت قبل عام من بدايته في هذا العمل ولم يرزق بإخوة وقد علمتم ما يحدث معه كلما اقترب من مجموعة من الأصدقاء، كان اعتذار الأستاذ كفيلا بأن يجعله يحيد عن قرار الانعزال لكن عدم اعتذاره أكد على قراره بالانعزال، لم يتعامل مع بشر لما يزيد عن الشهرين سوى في إطار شراء حاجاته ولم يخرج من شقته سوى في الإطار ذاته، كان مرافقًا للشيء الوحيد الذي لم يخذله يوما ألا وهو كتب التاريخ، كان يقرأ كثيرًا لدرجة أنه مرت عليه أيام لم يأكل شيئًا وكان مكتفيا بالقراءة وشرب المياه، كانت دموعه تخونه أحيانًا وهو يقرأ فهو للمرة الأولى يقرأ مجبرا فمن يعرف طعم الصداقة ويحرم منه يعاني الأمرين حتى يستطيع نسيانه، وصديقنا عاصم عانى معاناة شديدة يصعب وصفها فهو قد عرف كيف يكون الشعور حين يكون أحدًا مهتمًا به وعرف كم هو جميل هذا الشعور وفجأة حرمه شغفه من هذا الشعور فهو لم يستطع أن ينصر البشر على التاريخ ولا يظن أنه سيستطيع فالتاريخ هو ما يملأ حياته وبدونه حياته عبارة عن كتلة من الفراغ اللا متناهي، عمره انقضى بين صفحات كتب التاريخ، عمرًا لم يكن له فيه رفيق سوى شخصيات التاريخ التي قرأ عنها الكثير، هذه الشخصيات التي لم يرها يوما لكنها كانت تزين حياته بالإثارة التي افتقدتها حياته الواقعية، عمره خلا من أي ملامح الإثارة لكنه شغفه بالقراءة كان يعوضه ولو قليلا عن هذا الملل. كان اليوم التالي لكتابته للمقدمة يوم مولده، ظن أن عزلته

ستنكسر في هذا اليوم لأن على الأقل شخص واحد سيحدثه لكن ظنه لم يكن في محله هذه المرة، فلم يصل لهاتفه رسالة أو اتصال طوال هذه الأربع وعشرين ساعة، بل حتى لم يحدثه أستاذه كعادته التي لم تنقطع سوى في هذه السنة، حين شارف اليوم على الانتهاء انهار بطلنا باكيا بسبب وحدته وظل يبكي إلى أن جاءه اتصال من رقم لا يعرفه ولم يسجله على هاتفه من قبل فرد عليه:

عاصم: من؟

ليلى: أنا ليلى

- من ليلى؟
- زميلتك في الكلية، أنا أعرفك وأنت لا تعرفني كما كنت متوقعة، كل ما أردته هو تهنئتك بعيد ميلادك، عيد ميلاد سعيد عليك وأتمنى أن يكون هذا العام هو عام سعدك
- شكرًا جزيلًا لك يا ليلى، لحظة واحدة، لقد تذكرتك، أنت تلك الفتاة الجميلة التي جلست معها مرة في أحد طرقات الكلية أليس كذلك ؟
- نعم
- وأخذتي رقمي وقلتي أنك ستحدثينني ولم تفعلي لأنك قلتي أيضًا أنك ستفعلين حين يكون الوقت مناسبا
- بالضبط

- لقد جئتني في خير موعد فأنا كنت في انتظار مكالمة في هذا اليوم ولم يحدثني أحد
- أعلم أنك تعاني من الوحدة وأعلم مدى صعوبة الأمر فأنا أعاني منها أيضًا وأعلم كم هو مرهق ألا يذكرك أحد في يوم مولدك لذلك قررت الاتصال بك اليوم
- لا أعلم كيف أشكرك فأنا لم أتحدث مع أحد لما يزيد عن الشهرين وأنت أول من اتصل لتهنئتي بعيد مولدي وأظن أنك الأخيرة
- أعلم مدى معاناتك وأعلم أن كل هذا بسبب قصك للتاريخ وقصصه على كل من كنت تظن أنهم أصدقاؤك لكن ما جعلني أحدثك هو السبب ذاته فقد أعجبني فيك اعتزازك بالحضارة الإسلامية وأعجبتني ثقافتك الواسعة وباختصار أنا معجبة بك وأود أن نكون أصدقاء
- على الرحب والسعة، أنا سعيد أن هناك من لا يمانع أن يكون صديقي رغم شغفي الكبير بالتاريخ والذي قد يكون مبالغًا به أحيانا
- لا لا ليس مبالغًا به على الإطلاق بل هو حياتك التي يجب أن تكون فخورًا بها فأنت على مستوى عال من الثقافة التاريخية وهو مدعاة للفخر لا الحزن فافخر بما أنت عليه وستتعدل حياتك وتكون حياتك هذه مدعاة للسعادة الكبيرة فالحزن أبدًا لا يدوم
- أحسنتي يا ليلي أنا بالفعل أعمل على عمل أدبي سيرفع من شأني ويعيد لقلبي الحماس للعودة لذلك الشغف مجددا

- حقا، أطلعني على كل ما كتبته على الواتساب ولنكمل حديثنا هناك

وأرسل إليها عاصم مقدمة روايته وحازت على إعجاب صديقته الجديدة وظلا يتحدثان حتى انتصف عليهما الليل وهما يتبادلان أطراف الحديث وكل منهما مستمتع بصحبة الآخر وفي النهاية هاجمت قوة من النعاس عينيهما وقبل أن يناما أخبرته ليلى أن يستمر في كتابة عمله الأدبي لأن مقدمته أثارت فيها الرغبة في استكماله وطلبت منه أن يطلعها على كل جديد يكتبه في هذا العمل فأثارت حماسه ليكمل عمله الأدبي وبالفعل في اليوم التالي بدأ في كتابة الفصل الأول بعد المقدمة واستغرق في كتابته ثلاثة أيام متواصلة لكن ما كتبه كان يستحق العناء فما كتبه كان جميلا ويعج بالمعلومات وبالأعمال البطولية فقد كتب عن فتح أراضي الفرس حيث قال:

"في التاريخ الإسلامي هناك العديد من الفتوح التي شهدت بطولات عدة من أبطال كثر من المسلمين وهنا سنتحدث عن فتح أكبر ممالك الدنيا في وقتها وأقوى الممالك وأكبر الجيوش وأعظم الغنائم التي غنمها المسلمون في كل فتوحهم، سنتحدث ها هنا عن فتح أراضي الفرس بداية من القادسية إلى ما بعد نهاوند، سنقص الوقائع من منظور الطائر وبالطبع لن أستطيع الوصول إلى الحياد فقبل أن أكون كاتبًا، فأنا مسلم فخور بأبطال المسلمين الذين كانوا على أتم الاستعداد للتضحية بكل ما يملكون من مال بل والتضحية بروحهم من أجل نصر الإسلام، بدأت معارك المسلمين مع الفرس بفتح أجزاء من العراق مستغلين تفرق الفرس بعد موت كسرى بين ملكين جديدين ليسا من أهل بيت كسرى

هما رستم والفيرزان وكان النزاع حاميا بين ملكي الفرس فاجتمع بهما قادة الفرس وأخبروهما أن انتصار العرب عليهم في المعارك السابقة لم يكن سوى لتفرقهم وتشتتهم وأمروهما بالاتحاد وتنحية خلافاتهما جانبًا وإلا ستطولهما سيوف ورماح ونبال الفرس قبل المسلمين، ما قاد لسيطرة هذين القائدين على أراضي الفرس هو اختفاء أبناء كسرى جميعًا خوفًا من القتل بعد موت كسرى، وبعد بحث شاق دام طويلًا وجدوا ابنا لكسرى يسمى يزدجرد فتوجوه ملكًا عليهم وفرح به الشعب والرعية وبدأ في إدارة شئون البلاد وأمر أيضًا بتحريك ثلاثة جيوش المهاجمة المسلمين حينها وصل الخبر للمثنى بن حارث الشيباني قائد المسلمين في هذه المناطق وأرسل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستشيره في الأمر حينها قال أمير المؤمنين كلمة يخلدها التاريخ"

"والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب" فلم يدع ذا شأن أو رأي أو قيمة ولا شاعر ولا خطيب إلا واستدعاه للجهاد فكانت تلك المعركة مصيرية وملحمية حيث يتواجه بها العرب بكل ما لديهم أمام أقوى مملكة في العالم في هذا الوقت،، وأمر عمر المثنى بالانسحاب عن أرض العجم وأن تتوزع جيوشه عند المياه كي لا يحاصروا بلا ماء إلى أن يأتيه المدد منه، أنزل المثنى جيشه على حدود بلاد فارس قرب البصرة وأرسل عمر إلى الولايات جميعها يطلب من كل من يستطيع القتال أن يحضر للجهاد ثم خرج للحج وحين عاد كانت الجموع قد احتشدت في المدينة من كل أرجاء المملكة الإسلامية باستثناء المناطق التي كانت العراق أقرب إليها من المدينة فاتجهوا مباشرة نحو جيش المثنى وعسكروا معه. حين عاد

عمر رضي الله عنه من الحج قرر أن يخرج بالجيش بنفسه وقد حدث وقد ترك علي بن أبي طالب واليا على المدينة، ثم بعد تخطي مسافة بسيطة عقد مجلسًا للشورى واستدعى له علي بن أبي طالب من المدينة واستشار أصحابه في خروجه لقيادة الجيش من عدمه فوافق الجميع على خروجه باستثناء عبدالرحمن ابن عوف حيث قال:

إني أخشى إن خسرت أن يضعف أمر المسلمين في سائر أقطار الأرض وإني أرى أن تبعث رجلا وترجع إلى المدينة " فاتفق أهل الشورى على هذا الرأي وبدأوا يطرحون الأسماء إلى أن قام رجل منهم فقال " وجدته، وجدته " قالوا من قال "الأسد، الأسد " قالوا " من " قال " الأسد في عرينه " قالوا من قال " الأسد في عرينه سعد بن أبي وقاص " فقالوا صدقت هو لها، وكان سعد مشغولا بجمع الزكاة في ذلك الحين ولم يتذكره سوى هذا الرجل، أرسل إليه عمر رضي الله عنه يطلب منه قيادة الجيش ويوصيه بالوصايا

"يا سعد بن أم سعد لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله لا يمحو السيء بالسيء لكنه يمحي السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته فإن الناس شريفهم ووضيعهم في دين الله سواء وهم عباده يتفاضلون عنده بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر إلى الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه " ثم حركه بأربعة آلاف وقبل أن يحركه أرسل إليه وصية يقول فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكون أشد احتراسًا منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم وعدتنا ليس كعدتهم ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سُلط عليهم شر منهم واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألوه النصر على عدوكم " وطلب منه أن يرفق وأمره بأن يستريح يوما وليلة كل أسبوع مسير وأمره أن يبعد تخييم الجيش عن قرى أهل الذمة ولا يدخل هذه القرى سوى من يأمن دينه من المسلمين، يا الله كم كان عمر يخشى أن يجرح أهل الذمة رغم كونهم غير مسلمين لكن هذا هو الإسلام فالدين المعاملة كما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم فليس المسلم من يخشاه ذميا، وأمر عمر سعدا بالتأكد من كثرة العيون وأن يخترهم من أهل الصدق كي يأمن أخبارهم، وأمره أن يرسل أولي البأس من جيشه في طلائع استكشاف وأن يختر لهم أفضل الخيل، وألا يفرق قواته ويهجم بجيش واحد في معركة واحدة وأمره ألا يبدأ القتال حتى يبصر نقاط ضعف العدو وحتى يعرف الأرض معرفة أهلها فتصنع بعدوه صنعه به، ثم أمره بالحراسة الشديدة، وأمره أن يقتل الأسرى كي يرهب عدوه ما عدا أولئك الذين لهم عهد وميثاق هكذا كان الإسلام يحارب العدو نفسيا لكن بدون نقض عهد أو ميثاق".

تحرك سعد رضي الله عنه نحو العراق وانضم له جيش المثنى وكان يتألف من ثمانية آلاف مقاتل فصار الجيش اثني عشر ألفًا وكان المثنى رضي الله عنه قد مات متأثرًا بجراحه قبل وصول الجيش، وتقدم سعد ورتب الجيش وجعل الرايات وجعل لكل ١٠ قائد يسمى عريف ولكل ١٠ عرفاء قائد، فقسم الجيش لأقسام ولكل قسم راية وجعل أهل الرايات من أصحاب السبق في الإسلام ورتب المقدمة والساقة (مؤخرة الجيش) والميمنة والميسرة والطلائع وكان قائد المقدمة زهرة بن الحوية والميمنة عبدالله بن المعلم والميسرة شرحبيل ابن الصمت الكندي ونائب القائد خالد بن عرفتة وعلى الخلفية عاصم بن عمرو وعلى الطلائع سواد بن مالك و على المشاة حمال بن مالك وعلى الفرسان عبدالله ابن ذي السهمين الحنفي وعلى القضاء في الخلافات عبد الرحمن بن الربيعة الباهري وكاتب الجيش زياد بن أبي سفيان وداعية الجيش سلمان الفارسي، وكان اختيارهم الأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، سار سعد بالجيش حتى نزل بالقادسية شرق الفرات جنوب الكوفة ويقع عند أحد فروع الفرات وكتب عمر لسعد يقول له

"إني ألقي في روعي أنكم إذا لقيتم العدو غلبتموهم فمتى لاعب أحد منكم أحدًا من العجم بأمان أو بإشارة أو بلسان كان عندهم أمانا فإن الخطأ بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر هلكة"

وهنا أيضًا يتجلى اهتمام الإسلام بمنع الغدر ولو عن غير عمد. أقام سعد في القادسية شهرًا لا يأتيه من الفرس خبرا فأرسل السرايا للسيطرة على المنطقة من جديد فأغارت على كل من نكث العهد ومن غدر منهم، فبدأ

الفرس بالإرسال إلى يزدجرد يطلبون منه العون ويخبرونه بما فعل المسلمون بهم، وأعلموه أنه إن تأخر استسلموا جميعا، هنا يزدجرد أرسل إلى قائد القوات رستم أمره بالاستعداد والتأهب ليهجم بنفسه على المسلمين وامتثل رستم كرها حيث رأى أن مواجهة الإسلام صعبة لحماس المسلمين لكونه دين جديد وكان يرى أن يصبروا حتى تهدأ شعلتهم ثم يهجموا عليهم، وبدأوا التحرك بعد مماطلة رستم بقيادة يزدجرد التي دامت أربعة أشهر وكانت بداية تجمعات الفرس تصل لمائة ألف بينما قوات المسلمين لا تتخطى ستة وثلاثين ألف، ووصل جيش الفرس إلى مائتان وأربعين ألفا، بحسابات الأرض لا طاقة للمسلمين بمجوس الفرس لكن الحرب لم تكن تحسم أبدًا بالعدد والعدة فقد كان المسلمون يقاتلون خلف راية لا إله إلا الله، تلك الراية التي تقوي القلوب وتثبت من يحاربون خلفها وترهب من يحاربها، لما وصل جيش الفرس إلى كوفي قابل رستم مسلما فسأله عن سبب مجيئهم فقال

" جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا "

رستم: " فإن قتلتم قبل ذلك ؟ "

فرد العربي: " من قُتل منا دخل الجنة ومن بقي أنجزه الله وعده "

فقال رستم: "إذا قد وضعنا في أيديكم "

قال العربي: " أعمالكم وضعتكم فلا يغرنك ما ترى حولك فإنك لست تجادل الإنس إنما تجادل القدر "

فأمر رستم بقتله وهاجم جيش رستم قرية من قرى فارس وغصبوا أهلها واغتصبوهم فنظر مجددًا في كلام العربي وعرف أنه على حق فما يفعل ذلك في قومه يجب أن يعاديه القدر كما قال المسلم، وقابل الذين استسلموا للمسلمين وسألهم عن كيف ولماذا فعلوا ذلك فقال أحدهم

" لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرنا وتلومنا عن الدفاع عن أنفسنا"، هنا أرسل سعد طليعة استكشاف مكونة من ١٠ بقيادة عمرو بن معدي كربدزبيدي وطليحة بن خويدد الأسدي وكان كل منهما يعد في الجاهلية بألف فارس وكلاهما ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم عادا للإسلام مجددًا، بدأت الطليعة في الاستكشاف وكان رستم قسم جيشه مقدمة ٧٠ الف وقلب ١٠٠ الف ومؤخرة ٧٠ الف، فأول ما وصلت هذه الطليعة إذا هم يرون المقدمة قد تقدمت فظن أفراد الطليعة أنه الجيش لكن القادة قالوا والله ما هذا الجيش ما هذه إلا مقدمة الجيش فرأى القادة أن يكملوا التقدم كي يرون بقية الجيش لكن الأفراد اختلفوا معهم فامرهم القادة بالرجوع للمعسكر بينما هما يستكشفان بقية الجيش ورأوا القلب فانبهرا ثم أكملا حتى رأيا المؤخرة والتي فيها رستم وباقي القادة فلما رأوها

قال عمرو لطليحة:" نرجع ؟"

فقال طليحة:"لا نرجع"

عمرو: "ما نفعل؟"

طليحة:" نهجم"

عمرو:" نحن اثنان "

طليحة: "والله ما ارجع حتى اغنم منهم"

فوقف عمرو ينظر وهجم طليحة ويدخل وسط الجيش ليلا وأسقط حبال الخيم ليلا حتى وصل خيمة رستم وغنم منها ورجع وانهارت معنويات الفرس حيث إنهم لم يروا جيشًا يخترق صفوفهم إذًا فمن اخترقهم مجموعة صغيرة أو ربما جندي واحد، تخيل أن يرى جيش جنديًا واحدًا يغنم من قائدهم في حضرتهم ويعود سالما كيف يمكن أن يكون شعورهم.

بدأت الاستعدادات وأرسل عمر لسعد أن يرسل من أصحاب الحكمة النعمان بن مقرن وكان سيد الوفد وقيس بن زرارة والأشعث بن قيس وفراط بن حيان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معدي كرب والمغيرة بن شعبة كي يحدثوا القائد يزدجرد الذي حدثهم بواسطة الترجمان:

يزدجرد: ما جاء بكم ودعاكم إلى غزونا والتوغل في بلادنا أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا

النعمان: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على إجابته خيري الدنيا والآخرة، وبين له كيف اختلف العرب وكيف حاربوا المشركين، ثم أمر أن نتجه لمن جاورنا من الأمم وندعوهم إلى الإنصاف فندعوكم إلى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله فإن أبيتم فأمر أهون وهو الجزية فإن أبيتم فالمناجزة فإن أجبتم إلى ديننا سنترك فيكم كتاب الله وتقيمون على أحكام الله ونرجع عنكم وشأنكم شأن بلادكم، وإذا رفضتم وبذلتم الجزية نحن نحميكم، وإلا قاتلناكم

يزدجرد: إني لا أعلم أمة في الأرض كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوء ذات بين منكم وقد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فإذا كان لحقكم غرور فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكًا يرفق بكم

قيس: أما ما ذكرته من سوء الحال فكما وصفت وأشد ثم رحمنا الله بارسال النبي (وبدأ يشرح أمر الإسلام) اختر يا يزدجرد اختر يا كسرى إما الجزية عن يد وأنت صاغر (لم يفهم يزدجرد ولا الترجمان معنى صاغر فقالوا تأتي بالجزية نحن نجلس وأنت واقف وتترجانا أن نأخذها) وإلا السيف أو انج بنفسك وأسلم

بدأ يزدجرد يغلي وقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي

فأمر أن يأتوه بالتراب فقال اجعلوه على رأس أشرف واحد فيهم فقال عاصم بن عمرو أنا أشرفهم فوضعوا التراب على رأسه وتحرك بهذا التراب حتى وصل إلى سعد فقال " أبشر فإن الله قد سلمنا أقاليد ملكهم " لما اقترب جيش رستم طلب الحديث إلى مندوب من جيش المسلمين فأرسل له سعد المغيرة بن شعبة فتحدث له عن الإسلام وكيف تحول ضعفهم لقوة بالإسلام وبعد فترة طلب رستم مندوب آخر وأمر بتزيين المجلس وجلس رستم على عرش من الذهب وعليه تاج مرصع وجاءه الرجل الثاني ربعي بن عامر من الأعراب يلبس ثيابًا خشنة يحمل سلاحًا متواضعًا يركب فرسًا صغيرًا يلف شعره بعمامة وشعره ضفيرتان فقالوا

له انزل واسجد لرستم فرفض وطلبوا منه الدخول لرستم فأخذ وسادة مزقها وربط فيها حبل الفرس فقال رستم أدخلوه وأنزلوا الباب كي يدخل راكعا، وصل ربعي إلى الباب فعرف الخدعة وفعل فعل عجيب فحين وصل للباب التفت وجعل ظهره للباب ودخل المجلس بمؤخرته فأذل رستم بدلًا من تكريمه ورأى ربعي البهرج فبدأ يسير يمزق السجاجيد المذهبة برمحه يشقق الوسائد برمحه وحين أرادوا إيقافه قال رستم اتركوه كي يعرف أن هذه الأشياء لا قيمة لها عندنا وبدأ الحوار

رستم: ما جاء بكم

ربعي: ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه فندعوهم اليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبي قاتلنا حتى نفضي الى موعود الله اما نصر واما شهادة

رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا

ربعي: لا مانع لدينا كم احب اليكم يوما أو يومين

رستم: بل حتى نكاتب اهل راينا ورؤساء قومنا

ربعي: ما سن لنا رسول الله أن نؤخر الاعداء عند اللقاء اكثر من ثلاث فانظر في امرك وامرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اما الاسلام واما الجزية واما الحرب

رستم: أسيدهم انت

ربعي: لا لكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم

رستم: دعنا نفكر

وجمع رستم القادة قال هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل فقالوا معاذ الله أن تميل لشيء من هذا وتدع دينك ألا ترى ثيابه، فقال رستم ويلكم لا تنظروا إلى الثياب وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب في اليوم التالي طلبوا رجلا آخر من المسلمين وأرسل سعد اليهم حذيفة بن محصن فتكلم بمثل ما تكلم به ربعي.

بعد انقضاء المهلة في رابع يوم ارسل اليهم سعد الانذار الأخير على يد المغيرة فقال رستم للمغيرة انما مثلكم في دخول ارضنا مثل الذباب راي العسل فلما وصل إلى العسل غرق فيه فجعل يطلب الخلاص وممثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل حجرا فيه عنب فلما رآه صاحب العنب ضعيفًا تركه فلما سمن اخذ يفسد شيئًا كثيرًا فجاء بجيشه واستعان عليه بغلمانه فحاول الخروج فلم يستطع لانه سمن فضربه حتى قتله فهكذا تخرجون من بلادنا ثم اقسم رستم بالشمس ليقتلن المسلمين في اليوم التالي فقال المغيرة " ستعلم "

فقال رستم " أمرت لكم بكسوة ولاميركم بالف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا "

فقال المغيرة " أبعد أن أوهننا ملككم وضعفنا عزكم ولنمده نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وانتم صاغرون وستصيرون لنا عبيدًا على

رغمكم "، هكذا كانت ثقتهم في نصر الله فهم لا يقاتلون وحدهم بل يؤيدهم الله ومحظوظ من أيده الله بنصره . في هذه الفترة كان سعد قد أصيب بمرض فانتشرت في جسده الدمامل فما يستطيع الا ان يقف أو ينبطح على وجهه فكان يضعون له وسادة ويضع صدره عليها وهو في مكان مرتفع يدبر امر الجيش ويصدر التعليمات وسلم القيادة الى نائبه، وكان من الخير للمسلمين أن يصاب سعد رضي الله عنه بهذه الدمامل وسنعرف لماذا أثناء قص أحداث المعركة، وبدات المواجهة واتفق الطرفان أن يعبر الفرس نهر العتيق قبل الهجوم ووافق سعد على ذلك وعبروا النهر ورتب الطرفان الجيشين ورتبا أمرًا آخر وهو أمر المراسلات بين المعركة والعواصم فكان سعد يرسل رجلا للمدينة يبلغ عمر بالمستجدات وينطلق رجلا من المدينة بتعليمات عمر، أما الفرس فبسبب عددهم كان رستم وضع رجلا عالي الصوت يبلغ رجلا اخر عالي الصوت وهكذا إلى أن يصل الخبر ليزدجرد في مكانه فيصل الخبر في ساعات ليزدجرد بينما يصل لعمر في ايام، واصطف الجيشان في حين طلب عمر من ابي عبيدة أن يرسل المدد لسعد في القادسية وفعلا ارسل المدد نحو القادسية وكان من ضمن قيادة هذا المدد القعقاع بن عمرو الذي أراه من حسم هذه المعركة بدهائه وقوته، وكان يعتبره عمر بالف فارس وتحرك القعقاع ومعه مجموعة من بني تميم وبعده تحرك مدد اكبر بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وكان يسمى المرقال لانه في جيش علي يوم صفين وتسلم الراية وكان يرقل بها وبدات المعركة قبل وصول المدد من الشام . بدات المعركة وارسل سعد رجالا قبل بدء القتال من

ذوي البلاغة يحرضون المسلمين على الجهاد وترغيبهم في الشهادة ثم ارسل القراء فاخذوا يقراون سورة الأنفال والتي يطلق عليها سورة القتال فالآن يمتلئ المعسكر بصوت القراء، ثم نادى سعد في الناس أنه حين يكبر لصلاة الظهر يكبروا وحين يكبر الثانية أن يكبروا ويرتدوا الدروع ويمسكوا السلاح ثم بعد الثالثة أن يكبروا وينشطوا الناس ثم بعد الرابعة أن يكبروا ويزحفوا حتى يخالطوا العدو ويقولوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، سبق الفرسان الجيش فهجموا في البداية وحمي الوطيس في يوم سمي يوم أرماث، وبدأ الضغط على المسلمين وحدث أمر أضعف المسلمين حيث ظهر سلاح جديد لم يعتد عليه المسلمون من قبل وهو سلاح الفيلة المجهزة بكل أساليب حماية الفيل ومن يركبه من النبال والرماح فحين رأت الخيل الفيلة بدأت تفر من أمامها لأنها المرة الأولى التي تراها وبدأت صفوف المسلمين تتزعزع، حين رأى بنو أسد هذه الزعزعة نذروا أنفسهم لقتال الفيلة وهجموا على الفيلة وبدأ القتال عند الفيلة وقاتل بنو اسد وحمي الوطيس هناك فقد أمر رستم أن يُحمل عليهم وأن يحمي الجميع الفيلة وهنا بدأت خيول بجيلة الذين قرروا مساندة بني أسد تنفر وتفر من أمام الفيلة، طليحة بن خويلد الأسدي بدأ يدافع عن بجيلة ويوقف هجوم الفيلة وهنا الأشعث بن قيس رئيس قبيلة كندة بدأ ينادي يا بني كندة لله در بني أسد أي فري يفرون وأي هذي يهذون أغناكم لقوم ما يليهم أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم من العرب ثم هجم فهجموا معه واستطاع بنو كندة أن يدفعوا الفرس عن بني أسد وزعزعة قوات الفرس، رأى رستم أن بمقتل بني أسد سيحدث فجوة

في جيوش المسلمين يستطيع بها أن يكسر شوكتهم فأمر بتركيز الهجوم عليهم من الفرس وفيلتهم وقتل من بني أسد خمسمائة شهيد حين يراقب سعد المعركة فأرسل فورًا إلى عاصم بن عمرو زعيم بني تميم فقال " يا عاصم الحقني دبرلي الفيلة "، هنا عاصم انسحب من المعركة وترك قيادة بني تميم لرجل آخر وطلب منهم قناصة النبال فقال تعالوا عندي وجمع مجموعة من الفرسان فوضع خطة محكمة لقضية الفيلة، هؤلاء الرماه يشغلون المقاتلين الجالسين فوق الفيلة بالنبال ثم قال لمجموعة أخرى استدبروا الفيلة واقطعوا حزام الفيل ويشغل هو ومن معه مقدمة الفيل وبدا الهجوم التميمي على الفيلة واستطاعت الخطة تحقيق نجاحًا مبهرًا، وبدأت الفيلة تفر ونُفس عن بني أسد فانسدت فجوة المسلمين واشتد القتال حتى غروب الشمس، وبدأ الانفصال وانتهى يوم أرماث وبدأت الليلة الأولى المسماة ليلة الهدأة. لما صار الصبح أصدر سعد الأوامر بدفن القتلى ومداواة الجرحى وظل الناس مشغولين بذلك إلى الظهر وبدا المسلمون خلال ذلك يعيدون ترتيب الصفوف وفي نفس الوقت كان الفرس يعيدون ترتيب صفوفهم، وصلى الناس الظهر وإذ بالتكبير ينتشر بوصول القعقاع قادما على مقدمة المدد من الشام، وصل دون راحة، وصل القعقاع قبل بدأ القتال في اليوم الثاني فذهب وسلم على سعد وأخبره بقدوم المدد ففرح سعد كل الفرح وطلب منه أن يرتاح فقال القعقاع لا أبدا، وتقدم والمسلمون يكبرون فرحا، لم يكتف القعقاع بذلك بل تقدم الصفوف ووقف بين الجيشين وبدأ ينادي من يبارز، خرج له بطل من أبطال الفرس هو الوحيد حتى ذلك اليوم منذ أن بدأت

الفتوحات الذي هزم المسلمين في معركة الجسر وكان يسمى ذو الحاجب وتقدم لمواجهة القعقاع، أعظم بطلين في هذه المعركة يتواجهان رجلا لرجل والجيشان يشاهدان لما تقدم ذو الحاجب وعرفه القعقاع نادي بنداء هز الجيشين قال " يا لثارات أبي عبيد، يا لثارات سليط، يالثارات أصحاب الجسر" وهجم الاثنان على بعضهما البعض، وما هي حتى فترة وجيزة حتى كان تكبير القعقاع الله أكبر الله أكبر وتكبير المسلمين وفرح المسلمون بشدة لا يوازي فرحهم سوى حزن الفرس على بطلهم ذي الحاجب ثم حمي القتال، في هذا اليوم المسمى يوم أغواث شعر المسلمون بالانتصار لوصول المدد ولأن الفيلة التي تكسرت توابيتها بالأمس لم تستطع المشاركة في المعركة لأن توابيتها لم تصلح بعد ثم أضاف القعقاع غوثًا ثالثًا حين علم بما فعلته الفيلة بخيل المسلمين من فزع ورعب قال " كما لهم فيلة نصنع نحن فيلة "، فانسحب من أرض المعركة وجمع الذين كانوا قد جاؤوا معه من بني تميم ومن كانوا في الجيش سلفًا من بني تميم، وخرج خارج المعركة ودبر حيلته وعاد للمعركة إذ بحيلة من أعجب الحيل التي حدثت في تاريخ المعارك الإسلامية خاصة والمعارك عامة، حيث أخذ إبل وجعل فوقها عصي مرتفعة فصار البعير مضاعف حجمه وغطى هذه العصي بثياب مجللة وغطى الأبل حيث لا يظهر منها شيء سوى عيونها فجعلها مبرقعة وجعل فوقها من يقودها ويرى من فتحات في هذه الثياب وأمر جماعة من الفرسان بحماية هذه الإبل، فلما رأى المسلمون الإبل تتقدم انبهروا كما انبهر الفرس وبدأت هذه الفيلة المصطنعة تتقدم في أرض المعركة وخيل الفرس فزعت من هذه الكائنات

الغريبة وهاجت وبدأت تنفر من أرض المعركة كما نفرت خيول المسلمين بالأمس وبدأ الفرس يذوقون مرارة سلاحهم ولاقى الفرس من هذه الإبل أعظم مما لاقى المسلمون من فيلتهم الحقيقية وتزعزع جيش الفرس وظل القتال إلى المغرب وظل القتال إلى نصف الليل وسميت الليلة ليلة السواد وانفض الجيشان في منتصف الليل واستشهد من المسلمين ألفان ومات من الفرس عشرة الاف، وهدأ الناس بعد ليلة صعبة وأصبحوا في اليوم الثالث يوم عماس وكان المسلمون قد انشغلو في بدايته بمداواة الجرحى ودفن الموتى وتولى الدواء نساء المسلمين، أما الفرس فتركو موتاهم، في هذا اليوم تطور الأمر في الجانبين، في الجانب الفارسي كان الفرس قد أصلحوا توابيت الفيلة ووضوعها فوق الفيلة واحتاط الفرس من تسلل المسلمين خلف الفيلة مجددًا فجعلوا مجموعة مسلحة خلف كل فيل وبدأت الفيلة تقترب من جديد في هذه الأثناء كان القعقاع اقترح على سعد شيئًا جديدًا وافق عليه سعد فما اصبح الصباح الا والرايات قد تغيرت اماكنها كما حدث في يوم مؤتة فقال الفرس وصل المدد وزاد الأمر حين أرسلوا إلى هاشم يخبروه ألا يأتي بالمدد دفعة واحدة وإنما يأتي دفعات وأن يأتوا من مكان يثير الغبار فأتت الدفعة الأولى تثير الغبار من جهة الشام فأخذ المسلمون يكبرون واهتز الفرس نفسيا وفجأة تأتي مجموعة أخرى وتكبير جدديد وغبار مجددًا وهكذا توالت الدفعات وتوالى الغبار والتكبير فظن الفرس أن المدد لا ينقطع وانهاررت معنويات الفرس وحينها أمر سعد ببدء القتال وبدء القتال وحمي الوطيس وكان قتالا عظيما، هنا رستم قرر تكرار الهجوم بالفيلة وأمر أن يهاجم الفيلة كلها

قبيلة واحدة كي يحدث ثغرة في جيش المسلمين لكن سعد بدأ ينتبه إلى هذا الأمر فأرسل فورًا إلى القعقاع وعاصم بن ثابت فقال لهما دبرا لي أمر الفيلة وأمرهما بأمر ولاحظ أن الفيلة كلها تتحرك خلف الفيل الأبيض والفيل الأجرب فدبرا لي أمر هذين الفيلين، وهنا تتجلى عظمة إرادة الله وابتلائاته فلولا ابتلائه لسعد بالدمامل لما لاحظ ذلك الأمر ولصنعت الفيلة شر الصنيع في المسلمين في هذا اليوم، تحرك القعقاع وصاحب له للفيل الأبيض وتحرك عاصم ومعه صاحب له للفيل الأجرب، القعقاع وصاحبه اقتربا من الفيل وفي لحظة حاسمة ترتفع خيولهما عن الأرض ويرتفع القعقاع وصاحبه في مقدمة الفيل وكلاهما شاهر رمحه بيد ويمسك الخيل بيد وبضربة واحدة ودقة عجيبة يتوجه الرمحان فيدخل كل رمح في عين الفيل ويعمى الفيل الأبيض، في الوقت ذاته اتجه عاصم وصاحبه نحو الفيل الأجرب واستطاع عاصم أن يصيب عين الفيل الأجرب فصرخ الفيل وجلس على ما وراءه ثم وقف فقام صاحب عاصم بقطع خرطوم الفيل وبدأ الفيلان يصرخان ويهربان ويدوسان على ما وراء هم من الفرس وبدأت بعدهم الفيلة الأخرى تتبعهم كما قدر سعد ولم تتوقف الفيلة حتى ذهبت إلى النهر وانتهى أمر هذا السلاح الفارسي الفتاك وظل القتال مستمرًا في هذا اليوم ودخلت ليلة الهرير ولم يتوقف القتال وأمر المسلمون ألا يهجموا حتى يكبر سعد، فبدأ الفرس يستفزون المسلمين فلم يتمالك القعقاع نفسه وهجم دون انتظار تكبيرة سعد فلما رأى القعقاع قال " اللهم اغفر له وانصره فقد أذنت له ولو لم يستأذن" ثم تحرك بنو أسد دون التكبير فقال سعد الشيء ذاته وأخذت

القبائل تذهب خلف القعقاع وسعد يردد الكلمات ذاتها فلما صلى المسلمون العشاء كبر سعد وكبر المسلمون وبدأ القتال من جديد في ليلة شديد بأسها وكان المسلمون يسبحون ويهللون ويكبرون ويهرون هريرا لهذا سميت ليلة الهرير ورأى فيها العرب والفرس ما لم يروا من قبل من قتال واستمر القتال طوال الليل وأصبح الصباح والقتال مستمر وتعب الناس وبدأ القادة يرتبون الجيش وهم يحاربون وبدأ القعقاع ينادي

" إن الدائرة تكون لمن صبر ساعة فاصبروا ساعة "

واستمر القتال حتى الظهر ٢٤ ساعة متصلة من القتال في اليوم الرابع يوم القادسية وبدأ الضغط وتزعزت ميمنة الفرس بقيادة الفيرزان وميسرتهم بقيادة الهرمزان فتأخرا عن مواقعهما وكان رستم في قلب الجيش في خلفه، هنا نادي القعقاع بطلا من ابطال المسلمين من بني تميم هلال بن علقمة التميمي قال "تفتدي نفسك إلى رستم؟"

فرد هلال " إلى رستم"

وانطلق البطلان وخلفهما مجموعة من بني تميم في اختراق عجيب لقلب الفرس يقصدون قائد الفرس رستم وعجز الفرس عن الدفاع عن قلب جيشهم أمام هذه المجموعة من الفدائيين بعد ٢٤ ساعة من القتال، وانطلقت هذه المجموعة في قلب الفرس ولم يقدر عليهم أحد من الفرس هجوم كإعصار قوي يجتذا الفرس من جذورهم فوصل الأبطال إلى رستم قائد الجيش ولم يستطع أحد أن يحمي رستم من البطلين فضربه هلال أولا وأجهز عليه القعقاع بعدها وقُتل بطل الفرس رستم وانتشر

الخبر كالنار في الهشيم وبدأ الفرس في الفرار وبدأ الهجوم الإسلامي والانسحاب الفارسي وحين رأى أحد أبطال الفرس يدعى جالينوس هذا توجه نحو نهر العتيق الجاف خاصة الجزء الذي ردمه الفرس كي يمنع قوات المسلمين من الوصول إليه فقام ضرار بن الخطاب وزهرة بن الحوية هجما على جالينوس هذا فقتلاه فتمزق الفرس فلا مفر لهم فهرب منهم من استطاع عبور الردم وألقي البقية أنفسهم في نهر العتيق الجاف وتمزق جيش الفرس شر تمزق أمام الجيش المسلم، واستطاع ضرار بن الخطاب أن يصل إلى راية الفرس العظمى درفش كابيان التي كانت اعظم رايات الفرس ٨ امتار في السماء ٤٠ متر بالعرض ويأخذها ممن يحملها لأول مرة في تاريخ الفرس وهرب المجوس وتبعهم زهرة بن الحوية وبدأت المطاردة في أرض الفرس، في هذه الأثناء كان سعد قد رتب الجيش من جديد وجمع الغنائم العظيمة وبعث بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين وهنأ الجنود بهذا النصر وتحرك بشير من المسلمين لا يعرف عمر قال له سعد استعجل واخبر عمر بالفتح وكان عمر ينتظر الفتح بفارغ الصبر فكان يجلس في الصحراء باتجاه بلاد فارس يوميا إلى الظهيرة حتى يرجعه حر الشمس وفي هذا اليوم وصل البشير فلقيه عمر فسأله عمر من أين

قال من بلاد فارس

فقال ما الخبر

قال الفتح الفتح

فاستبشر عمر وبدأ يجري خلف الرجل حتى وصل المدينة . تجمعت معظم فلول الفرس في منطقة بابل ولهم مقدمات في منطقة البرص، بينما أقام سعد بعد الفتح شهرين ينتظر أوامر عمر، وخلال هذين الشهرين أرسل السرايا لتطهير هذه المناطق فجاءت الأوامر من أمير المؤمنين والتي تنص على "توجه نحو المدائن واترك النساء واترك العيال ومعهم جند كثيف يحمونهم واي جندي يبقى في الحماية يقسم له من الغنائم كما لو كان مشاركًا في الفتح"

فتحرك سعد في أواخر شوال من العام الرابع عشر للهجرة نحو بابل، وصلت مقدمة المسلمين نحو البرص قبل أن يصل سعد وفيها بعض عساكر الفرس فتقاتلت المجموعتان الصغيرتان وانتصر المسلمون وسر سعد بهذا الخبر واستمر سائرًا حتى وصل إلى بابل وعبر الفرات وقاتل من تجمع ببابل فلم يلبث الفرس الا ساعة من نهار وانهزموا مدحورين وهرب الفيرزان نحو نهاوند وهرب الهرمزان نحو الأهواز وتبع زهرة قائد المقدمة المنهزمين حتى وصل إليهم عند كوثي وهناك قاتل منهم جمعًا عظيمًا وانتظر قدوم سعد وفعلا وصل سعد الى كوثي ثم انطلق نحو المدائن وفيها يزدجرد، سميت المدائن لكثرة المدن التي فيها ولعظمتها، وصل المسلمون إلى المدائن واستطاعوا أن يروا ايوان كسرى أو كما يطلق عليه أبيض كسرى، فلما رآه المسلمون قال جابر بن سمرة أن رسول الله قال " عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى " فقويت القلوب ونادي ضرار بن الخطاب " الله اكبر هذا ابيض كسرى هذا ما وعد الله وصدق رسوله الله اكبر" في ذي الحجة بدأ حصار المدائن، وهي

مدينة حصينة فأرسل سعد السرايا لفتح القرى المجاورة والتي استسلمت بسهولة، فأمر سعد بعد شورى الا يقتلوا فخيرهم بين الجزية أو الجلاء فاختار الكثير منهم الجلاء وبعضهم وافق على البقاء تحت حكم المسلمين لما عرفوه عنهم من حسن الطباع، واشتد الحصار على المدائن الغربية وبدأ الضغط وبدأ يزدجرد يشعر بالخطر والتهديد وان المسلمين قد يفتحوا المدينة في أي لحظة فأصدر الأوامر بأن تؤخذ الكنوز نحو المدائن الشرقية وأن تعبر النساء نحو المدائن الشرقية، وبدأ يعبر الفرس ثم أمر بأخذ جميع السفن من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية وامر بوضع الحراسة والحاميات على الجسور في الجهة الشرقية وعبر كذلك بنفسه وخلت المدائن الغربية وفتحها المسلمون بلا قتال لأن الناس قد تركتها، الفرس الآن شرق دجلة والمسلمون غرب دجلة، ولا توجد طريقة للعبور فالجسور محمية والسفن كلها في الاتجاه الآخر، بدأت المشاورات في طريقة عبور دجلة وقال لهم سعد " اني عزمت على قطع هذا البحر " فقالوا " عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل "

فبدأ سعد يرتب الأمور قال إنه يحتاج مجموعة فدائية تسبقهم حتى تحمي الضفة الأخرى من النهر وفعلًا تقدم لهذه المهمة عاصم بن عمرو سيد بني تميم ومعه ٩٠ فارس من قومه وبدأوا يرتبون للعبور سباحة فالآن المجموعة الأولى جاهزة ثم بدأ يبحث على نهر دجلة فوجد في مكان بعيد منطقة الماء فيها أقل من غيرها يصل إلى أعناق الخيل، وتوجه الجيش نحو تلك المنطقة، الجيش الفارسي لا يعلم ما سيفعلون لكن كانوا مطمئنين لكن في الوقت ذاته كانوا يرسلون قوات حماية تراقب الجيش في تحركاته،

وصل الجيش إلى هذه المنطقة وفجأة يأمر سعد عاصم ورجاله بالعبور فعبروا سباحة وبدأو يحمون هذه المنطقة حتى يعبر المسلمون في أمان ثم قال سعد للناس اعبروا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتعجب الناس لكنهم استجابوا اللامر وبدأ الناس يخوضون بخيولهم وإبلهم في النهر وبدأت الخيول تمشي والناس عليها ثم حدث أمر خطير بينما هم في وسط النهر إذ بدأ الماء يرتفع وغطى الخيول وبدأت الخيول تسبح بمشقة وأمر سعد أن كل ٢ يكونوا مع بعض وسعد خائف على الجيش وهو يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات

هنا قال سلمان الفارسي لسعد " الإسلام جديد ذللت لهم البحور كما ذلل لهم البر اما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوا فيه "

وفعلًا بدأ الناس يصلون إلى الدفة الأخرى، وصلت الحامية الفارسية وهم يرون الجيش يعبر فتعجبو وهجموا محاولين قطع الطريق فتصدى لهم عاصم ومن معه وهزموهم ففروا، وبدأ العبور الإسلامي لم يغرق منهم واحد، ولم يفقد أحدهم شيئا، لم تحدث سوى حادثة واحدة لهذا الجيش حيث إن رجلًا من المسلمين زلق عن ظهر الفرس وهو لا يعرف السباحة وهنا توجه نحوه القعقاع بفرسه حتى وصل إليه فأخذ بيده فأخرجه سالما، سمي ذلك اليوم يوم الجراثيم والجرثومة في الأصل هي المكان المرتفع في الأرض، حيث كانت تظهر لهم أماكن مرتفعة عن الماء في وسط النهر فكان كل من يرى جرثومة يذهب إليها ويستريح ثم يكمل

طريقه انطلق الذين هزموا من الحامية الفارسية فورًا نحو المدائن بخبر عبور المسلمون بلا سفن ولا جسور، وأسقط الخبر في يد يزدجرد، وانبهر يزدجرد فلما رأى ذلك هرب من المدائن وأخذ معه من الكنوز وأهله ما استطاع أن يحمل وهرب نحو منطقة حلوان، شرق بغداد، وتقدم المسلمون من غير معارض وهرب الجيش الفارسي بعد هروب قائدهم، وصل سعد إلى المدائن ودخلها بلا عناء او قتال وتوغل حتى وصل ايوان كسرى، فلما دخله سعد أخذ يقرأ قول الله تعالى

" كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين" وابتدر وصلى ركعتين أول صلاة في عاصمة الفرس وجمع من الغنائم شيئًا لم يخطر ببال المسلمين، أول كتيبة دخلت هي كتيبة القعقاع المسماه الخرساء ثم تلتها كتيبة الأهوال لعاصم بن عمرو وتتابع بعدهم الكتائب ووجدوا العجب في المدائن وصدق سعد حين استشهد بالآية الكريمة، قسمت الغنائم وكان الفارس له ثلاثة أسهم والماشي له سهم واحد، فقسم سعد الغنيمة أصاب الفارس الواحد ١٢ ألفا، وقسم المنازل وأسكن المسلمين في منازل كسرى وأصبحت المدائن عاصمة المسلمين في العراق ويقيم فيها أمير المسلمين على العراق، أرسل سعد خمس الغنائم الى عمر كما هو معتاد وارسل شيئًا إلى عمر، كان من بين هذه الغنائم أشياء لا تقدر بثمن كخلي كسرى وسلاحه ودرعه وشيء يسمى القطف، وهو بساط عظيم مساحته ستون ذراعًا في ستون ذراعا فيه طرق وفصوص كالأنهار وحافتيه كالأرض المزروعة، مصنوع

من الحرير على قضبان الذهب والفضة وكانوا يعدونه للشتاء، جمع سعد جيشه وقال

" أن الله قد ملأ أيديكم فهل لكم أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماسه فنبعث به الى عمر فيضعه حيث يرى "

وكذلك فعل بمجوهرات كسرى. حين وصلت الغنائم لعمر جمع الناس وحمد الله وأثنى عليه واستشارهم بالبساط، فمنهم من قال " اجعله عندك " ومنهم من قال " تصرف انت به " ومنهم من قال غير ذلك حتى قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال

" لم تجعل علمك جهلا ويقينك شكًا إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت او لبست فأبليت او أكلت فأفنيت "

فقال عمر لعلي " صدقتني" وأمر بتقطيع البساط ووزعه على المسلمين في المدينة فاصاب علي منه قطعة فباعها ب ٢٠ الفا ولم يكن أعظم القطع، وكذلك جمع الناس حين أتي إليه سوار وجواهر وحزام وتاج كسرى، ثم نادي سراقة بن مالك فألبسه السوارين ثم قال له " ارفع يداك "

فرفعهما ثم قال له " امشي بين الناس " والناس تنظر، قال له عمر " أخبر الناس ما قاله لك النبي يوم الهجرة "

فقال سراقة " قال لي حبيبي لما تبعته يوم الهجرة كيف بك يا سراقة اذا لبست سواري كسرى "

فقال عمر " الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما أعرابيا من بني مدلج "

ورفع صوته يشهد بذلك أمام الناس ثم قسم المجوهرات بين الناس.

إن معركة جلولاء واحدة من أهم واعظم معارك المسلمين مع الفرس، نزح الفرس إلى منطقة تسمى جلولاء وهي موضع شرق بغداد وهي مكان مرتفع به نهر صغير يسمى جلولاء يصب في دجلة، وأرادوا التحرك منها فاختلفوا فمنهم من كان من الشمال وأراد التحرك نحو اذربيجان ومنهم من كان من الجنوب ففضلوا الانطلاق نحو الجنوب فاختلفوا ثم قالوا

" إن افترقنا لم نجتمع، فهلم فلنحتشد في حرب العرب هنا وان كان لنا نصر فهي لنا وان كانت علينا شفينا انفسنا "

وأمروا عليهم مهران الرازي بعد أن جمعوا كل فلول القوات وحفروا خندقًا حول جلولاء وأحاطوا الخندق بحسك الحديد وحسك الحديد هو قطع حديد كالشوك وجعلوا بين هذا الحسك طرقًا خاصة بهم إذا أرادوا الهجوم خرجوا منها وعادوا إليها، وصلت الأخبار لسعد بهذا التجمع وخشي أن يصبر عليهم فتتجمع فلولهم كلها ويكون خطرًا أكبر وقادسية جديدة فشاور عمر فورًا فأشار عليه عمر بتحريك هاشم بن عتبة ب ١٦ ألف مقاتل وجعل على مقدمتهم القعقاع بن عمرو والميمنة سعد بن مالك والميسرة عمر بن مالك والمؤخرة عمرو الجهني وتحرك فعلا هذا الجيش الإسلامي وتحركوا نحو جلولاء وإذ بالفرس قد استعدوا وانحصروا في خنادقهم وظل الحصار ٨٠ يوما ما استطاع المسلمون أن يكشفوا الفرس ثم قرر المسلمون ان يهجموا من هذا الطريق

الضيق بين الحسك الذي يخرج منه الكفار وكان المسكرون أعدوه لتعبر منه الخيول وهجم المسلمون في جماعات فدائية من هذا الطريق حتى وصلوا إلى الفرس وبدا قتال عظيم يشبه قتال ليلة الهرير في القادسية لكنه أقصر واسرع وحدثت مقتلة عظيمة في المشركين وبدأت الهزيمة تدب في نفوسهم وفعلا انكسرت شوكتهم بهذا الهجوم الفدائي وتوافد المسلمون تباعًا حتى فر الكفار من جلولاء إلى خانقين فلم يتركهم المسلمون وتبعهم القعقاع وهزمهم هناك فجعلهم يفرون منها، ففتحت الآن جلولاء وهي المنطقة العسكرية الأساسية بين المسلمين في المدائن وبين حلوان العاصمة الجديدة للفرس، فلما وصلت الأخبار إلى يزدجرد ترك حلوان وهرب نحو الري فلما وصلت الأخبار إلى القعقاع فورًا تحرك نحو حلوان وإذ بمعنوياتهم مدمرة ففتح حلوان بسهولة وامتلكها وأرسل سعد الى عمر يخبره بهزيمة الفرس، حذر عمر من التوغل أكثر كيلا ينكشف ظهر المسلمين وطلب من سعد التوقف هنا تتجلى عبقرية عمر الحربية العسكرية فلم يغره انتصار المسلمين بل فكر ورأى أن انكشاف ظهر جيش المسلمين يسهل من مهمة الفرس في محاصرتهم وكسر شوكتهم. لما رأى عمر الأغنام الجديدة أخذ يبكي وتعجب عبدالرحمن بن عوف فقال

" ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا الموطن شكر "

حيث يقول المؤرخون أن غنائم جلولاء فقط وصلت إلى ثمانين ألف ألف أي ثمانين مليون فقال عمر

" والله ما ذلك يبكيني وبالله ما اعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا إلا القى الله بأسهم بينهم " ثم قال عمر " كيف نحسب هذه "

فسأل الصحابة " أنحفو أم نكيل؟"

فقالوا " احفوا "

هكذا اغتنى المسلمون غنى عظيما وبدأ الأمر في الهدوء فقرر عمر أن تبني الكوفة وتكون عاصمة للمسلمين في العراق وكان بناء الكوفة تمهيدا الفتوح عظيمة في بلاد الفرس، فتح الجلولاء كان في ذي القعدة عام ١٦ هجريا، وفي نفس السنة كان قد فتحت تكريت قبلها بشهور، فلما تمت السيطرة على هاتين المنطقتين أرسل المسلمون جيشًا نحو الشمال لفتح نينوى والموصل وهي بلدان على دجلة، الآن بدأ فتح مناطق الأكراد كما تسمى وسيطر المسلمون عليها، كل هذه الفتوحات تمت بمساندة العرب الذين كانوا في تلك المناطق فمالوا أكثر لحكم المسلمين عن الفرس واهتدى كثير منهم الى الاسلام وسيطر المسلمون على مناطق أخرى وبدأ الاتساع الاسلامي في مناطق العراق عندها أرسل سعد لعمر يشاوره حين رأى أن العرب استقر بعض منهم في المدائن وهي مدينة مرفهة فبدأ الضعف والمرض يصيباهم وكان عمر قد لاحظ ضعفًا ومرضًا يصيب سادة العرب الذين أقاموا في المدائن، فعندها كتب إلى سعد فقال له

" ابعث سلمان الفارسي – وهو الذي قال عنه النبي سلمان منا آل البيت – وحذيفة بن اليمان وهو كاتم سر النبي رائدين أي مستكشفين فليرتادا منزلًا بريًا بحريًا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر"

فامتثل سعد وأرسل كل واحد منهما من جهة وأخذا يبحثان عن هذا المكان وظل البحث فترة إلى أن اجتمعا بالكوفة وسميت بهذا الاسم لان معنى الكوفة الرملة الحمراء التي تخالطها حصى حصباء فاستحسناها وصليا بها ودعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات فأرسلو لسعد يخبراه عنها فأرسل سعد إلى القعقاع وعبدالله بن المعتم أن يجعلا خلفهما من يدير جيوش الفتح ويأتيا إليه، فجاءوا إليه وتحرك سعد بنفسه معهما من المدائن إلى الكوفة فعسكر بها في العام ال١٧ للهجرة فأشاروا عمر هل يبنوها من القصب فأذن لهم لكن أصابهم حريق بسبب القصب فاستأذنو في البناء بالطين فقال

" افعلوا ولا يزيدن أحدكم عن ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة "

فاختار سعد مهندسًا هو أبو هياج بن مالك فهو الذي خطط المدينة بالكامل، جعل فيها شوارع أعظمها أربعون ذراعًا والأوسط ثلاثة والشوارع الصغيرة عشرون ذراع والأزقة سبعة أزرع ثم قطع القطع بين الشوارع كل قطعة طولها ستون ذراعًا وعرضها ستون ذراعًا وأول شيء بني فيها هو المسجد وبني بجواره قصر الكوفة، بنيت الكوفة على الشاطئ الغربي لنهر الفرات بينها وبينه مسافة تملؤها حدائق النخل الملتفة والمسافة بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخ، وحين تم البناء انتقل سعد إليها وخير الجميع من يشاء الإقامة في المدائن تركه ومن أراد الكوفة يذهب، وصارت الكوفة عاصمة الإسلام في هذه المناطق قبل أن تصير عاصمة الدولة الإسلامية في عهد علي بن أبي طالب، وفي نفس عام تأسيس

الكوفة أسست البصرة وهي قريبة من شط العرب عند دجلة والفرات، عندما رأى عمر اتساع هذه المناطق قسمها قسمين الشمال يحكمه سعد والجنوب يحكمه عتبة بن غزوان فطلب عمر من عتبة أن يؤسس البصرة وجعلها العاصمة الجنوبية، بينما تحدث هذه الأحداث حدث خطأ عظيم قام به العلاء بن الحضرمي الوالي على أهل البحرين، لما رأى المسملون هناك ما يفعله الأبطال في بلاد الفرس أحبوا أن يكون لهم شرف الجهاد والفتح فعندها قام العلاء وبدأ يحث الناس على الجهاد ليهجم بهم بحرًا من الخليج العربي ويفتح شرق الخليج العربي غربي فارس، واستجاب له الناس فقسمهم ٣ فرق بقيادة الجالوت بن المعلى وسوار بن همام وخليد بن المنذر بن ساوه وأمرهم أن يعدوا السفن ويمروا عبر الخليج العربي وينطلقوا حتى يصلوا إلى فارس لكن للأسف الخطأ العظيم أن هذه التحركات تمت دون استشارة أمير المؤمنين خاصة أن عمر كان لا يرى الغزو عبر البحار وكان ينهى عنه خوف الغرق لكن العلاء عبر بجيشه وانطلقت قواته في أرض فارس حتى وصلت إلى أستخر وهي مدينة عظيمة وسط اقليم فارس، الفرس الذين في هذه المنطقة تجمعوا وجهزوا جيشًا عظيمًا والتفوا حول المسلمين فصاروا بين المسلمين وبين الخليج فمنعوهم من الوصول الى سفنهم فجمع خليد الناس وخطب فيهم وجهز الجيش وهجم على الكفار وكانت حرب عظيمة وقتل فيها عدد كبير من المسلمين من بينهم الجاروت بن المعلى العبدي وسوار بن همام كما قتل من الفرس عدد كبير، رأى المسلمون أن وجودهم بعدد قليل في وسط بلاد الفرس سيعرضهم للخطر فقرروا الذهاب شمالا نحو

البصرة ويرجعوا الى البحرين برًا، وعندها بدأ التحرك فتحرك الجيش الفارسي ومنعهم من التوجه نحو الشمال وحصر المسلمون في تلك المناطق، وصلت الأخبار إلى عمر وكيف هذا التصرف من العلاء وعندها غضب لكنه ارتأى ضرورة التصرف بسرعة فأرسل إلى عتبة بن غزوان امير البصرة أن يجهز جيشًا كثيفًا لتخليص المحصورين قبل أن يهلكو وفورًا حرك عتبة جيشًا من اثني عشر ألف مقاتل وسار هذا الجيش حتى التقى بالمسلمين وقد تجهز الفرس لهم بجيش كان يزداد قوامه يوميًا وبمجرد التقاء جيش الإسلام وجيش الفرس بدأ القتال وانتصر المسلمون، وكانت هذه أول غزوة تخرج من البصرة، وفورًا عزل عمر العلاء من إمارة البحرين وأمره أن يذهب للكوفة ليكون مامورًا تحت امرة سعد، في هذه الأثناء كانت تمر منطقة الأهواز بتحركات خطيرة، أحد القادة العظام للفرس الهرمزان انهزم من القادسية وفر نحو الاهواز واستطاع أن يسيطر عليها وسيطر على مناطق كثيرة وبدا منها يهجم على المسلمين في ضواحي البصرة، فأرسل عتبة لعمر يخبره بذلك، فأرسل عمر فورًا إلى سعد قال أرسل جيشًا ليساند عتبة وفورا حرك سعد نعيم بن مقرن والمعين بن مسعود وقال لهم تحركا حتى تكونا بين البصرة والأهواز وبدأت التحركات الإسلامية ثم بدأوا يراسلون العرب في مناطق الأهواز ويستميلونهم وبدأت المشاورات خاصة مع رئيسين من رؤساء العرب وتم الاتفاق السري بين المسلمين وبين العرب المشركين أنهم في يوم معين يثورون على قادتهم، تحرك الجيش لقتال الهرمزان وفي أثناء القتال ثار هؤلاء العرب فانكسرت معنويات الفرس فانهزم جيش

الهرمزان وبدأ تتبع هذا الجيش حتى وصلوا إلى شاطئ دجيل وعبر الهرمزان جسرا وطلب الصلح وبالفعل صولح إلا في المناطق التي كان فيها العرب وفتحت الاهواز ورجع باقي المسلمين إلى البصرة ورجع كذلك معهم كثير من هؤلاء العرب فلما رأوا أخلاق المسلمين وتعاونهم دخل كثير منهم في دين الله أفواجًا كان الهرمزان خبيث وبدأ يعد العدة للانتقام وفعلًا انتقم الهرمزان بمساعدة الأكراد فكتب هاشم لعمر يخبره بذلك فأمره أن يهجم عليه وأمر أن يكون حرقوس بن زهير السعدي في المدد ثم أمره على القتال وعلى المناطق التي يسيطر عليها فسار الحرقوس حتى وصل جسر سوق الأهواز وعبره وبدأ القتال مرة أخرى مع الهرمزان فهزم الهرمزان وهرب فبعث حرقوس في أثره جزء بن معاوية واستطاعوا فتح سوق الأهواز لكن الهرمزان استطاع الهرب، بدأ الهرمزان في تجميع قواته مرة ثانية فأرسل للحرقوس يطلب الصلح فأرسل الحرقوس إلى عمر يشوره فأمر عمر بقبول الصلح، قرر الحرقوس أن يسكن بجيشه في الجبل كحماية لهذه المناطق وأخذ المسلمين وأهل الذمة إلى الجبل فشق الأمر على الناس فجاءت الأوامر أن ينزل السهل ولا يشق على مسلم ولا معاهد ولا يدركه فترة ولا عجلة فتعكر دنياه وتذهب آخرته، ثم في هذه الفترة توفي عتبة وتولى بعده المغيرة بن شعبة وهو الحارس الشخصي للنبي ثم عزله عمر بعد فترة وتولى أبو موسى الأشعري، وأرسل له تسعة وعشرين من المعلمين فصارت البصرة مكانا لانطلاق العلم الشرعي ومكان لانطلاق الحضارة، ثم في عهد ابي موسى حدثت أحداث خطيرة حيث إن يزدجرد بدأ يجمع قواته ويدعو الفرس

للنصرة واسترداد ملكهم مجددًا فبدأ التحرك وبدأوا يكاتبون أهل الأهواز الذين عاهدوا المسلمين فشعر من كانوا على الاهواز بهذا التحرك فأرسلوا لعمر الذي أرسل لسعد أمير الكوفة أن يجمع جيشين منهما جيش كثيف مع معد بن عدي وتحرك الجيشين بقيادة أبو سبره بن أبي رهب، وتحرك الجيش وكان مقسم قسم يقوده النعمان بن مقرن والذي سبق باقي الجيش واستطاع أن يلتقي بالهرمزان وبدأ القتال مع الهرمزان الذي نقض العهد للمرة الثالثة فهزم الهرمزان وفر واستطاع النعمان أن يسيطر على تلك المناطق، وصل باقي الجيش وأحكموا السيطرة على الأهواز وتجمعت قوات الفرس في تستر فعندها تحرك المسلمون نحوها وحاصروها وأبلوا بلاءا حسنا في هذا الحصار ومن بين من أبلو حسنا البراء بن مالك ومجزءة بن ثور واشتد الحصار على قوم تستر فوكلوا واحدًا منهم يتحدث للمسلمين وقد طلب الأمان من جيش المسلمين فأمنوه وطلب الأمان لأهله وداره وماله ودل المسلمين على مدخل يدخلون منه المدينة فسأل قائد الجيش رجاله من يدخل مع هذا الرجل، فعدة من أبطال البصرة والكوفة تبرعوا ودخلوا من هذه السراديب إلى داخل المدينة وفي لحظة حاسمة وصل هؤلاء إلى الأبواب وكبروا وفتحوا الأبواب ودخل المسلمون المدينة وقتلو من قاتلهم وسيطرو على تستر إلا قلعتها التي تحصن بها الهرمزان، فحاصروه وطلبوا منه النزول على حكم عمر، فوافق واستسلم وفي هذه المعركة قتل البراء بن مالك ومجزء بن ثور، وصل الهرمزان إلى عمر ودخل عليه المسجد وقال اين عمر، فسأل

المغيرة وهو ترجمانه عن مكان عمر ولم يكن في المسجد سوى عمر وكان نائما وفي يده عصا

فقال المغيرة ها هو

فقال أين حرسه وحجابه

قال ليس له حارس ولا حاجب

قال فيجب أن يكون نبيا

قال بل يعمل بعمل الأنبياء

استيقظ عمر وأخبروه بوجود الهرمزان فنظر إليه فرأى الزينة والحلي فقال عمر الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشباهه ثم أمر أن ينزع عنه كل ما عليه من مظاهر الفخر وان يلبسوه ثوبًا خشنا وكلمه عمر من خلال الترجمان:

عمر: كيف رايت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله

الهرمزان: يا عمر انا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلا بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الله معكم غلبتمونا

- انما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا، ما عذرك في نقض العهد المرة بعد الأخرى
- اخاف ان تقتلني قبل ان اخبرك
- لا تخف ذلك تكلم

- اعطوني ماء (فجاؤوا له باناء غليظ خشن فيه ماء) لو مت عطشًا لم استطع ان اشرب في هذا الاناء

فجيء له باناء رقيق فأخذ الكأس وهو يرجف

- اخاف ان اقتل قبل ان اشرب
- لا بأس عليك حتى تشربه

(اخذ الهرمزان الماء وصبه)

عمر: إتوا له بماء جديد

الهرمزان: لا حاجة لي بالماء بل اردت ان استئمن به

- فأنا قاتلك
- قد امنتني
- كذبت

قال أنس " صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته "

عمر: أنا أؤمن قاتل البراء بن مالك ومجزءة بن ثور والله يا أنس لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك

أنس: يا أمير المؤمنين قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشرب الماء

التفت عمر الى الصحابة فقالو " نعم يا أمير المومنين انت اعطيته الأمان "

ثم التفت الى الهرمزان فقال خدعتني

فكر عمر حتى قال قولة عجيبة " لست بالخب ولا الخب يخدعني والله لا أنخدع إلا لمسلم "

لما رأى الهرمزان أن الخيار بين الموت والاسلام اختار الإسلام فكافأه عمر لما فتح قصر الهرمزان الثائب بن الأقرع دخل القصر وكان القصر بعيدًا عن المدينة فبدأ يتجول فوجد في احد البيوت تمثال ملصوق بالحائط يشير اصبعه إلى الأرض فقال ثائب " ما صوبت اصبع هذا التمثال لهذا المكان إلا لأمر احفروا ها هنا "

فحفروا فإذا بإناء ضخم للهرمزان مملوءا بالجواهر أرسل الثائب كل هذه المجوهرات عدا فص خاتم إلى أبي موسى ووجهو الصفط إلي عمر فقال عمر للهرمزان تعرف هذا الصفط فقال الهرزمان نعم أفقد منه فصًا هكذا كان يهتم الفرس بحليهم وزينتهم فهو لا ينسى هذا الفص الذي استأذن الثائب في أخذه.

جمع عمر قادته في أراضي فارس عن سبب ثورات أهلها فقال أحدهم أن سبب ذلك هو أن ملكهم ما زال يجمع الجيوش ويحرضهم على المسلمين وانهم لا يستطيعون منعه بعد أمر أمير المومنين بتوقف الزحف وأنه يرى أن يأمرهم باستمرار الزحف مجددًا شرقًا حتى يقضون على يزدجرد فينقطع أمل الفرس في عودة ملكهم فلا يثورون ووافق عمر على ذلك، في هذه الأثناء كان يزدجرد بدأ يجمع الجيوش في جبال همذان في منطقة نهاوند وتحركت معه الدول الحليفة له خوفًا من أن تصل إليهم قوات المسلمين، فكتب سعد لعمر بالأخبار بينما يستعد سعد لهذا الخطر العظيم

بدا أهل الكوفة يشتكون على سعد أنه لا يعدل وأنه يمنعهم من الدخول عليه في ساعات معينة من اليوم لكن عمر قال قولة عظيمة " والله لا يمنعني ما نزل بالمسلمين عن النظر في شكواهم"

واستقدم سعد فخلف سعد على حكم هذه المناطق عبدالله بن عبدالله بن عتبان، أرسل عمر محمد بن مسلمة إلى الكوفة ويتأكد من هذه الشكوى وبالتأكد كان سعد بريئًا من كل هذه الاتهامات لكن عمر رأى أنه إن أبقى سعد في الولاية فسيكون هناك كره من سادة القوم عليه فرأى أن يحل محله النعمان بن المقرن المزني، وأمره بالخروج إلى نهاوند بكل قوات المسلمين الموجودين في العراق والكوفة إلا أولئك الذين في الاهواز حفظًا من شر أهلها، تجمعت الجيوش فعلا عند النعمان وأرسل ثلاثًا هم عمرو بن ثني وعمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد قال لهم " اكتشفوا لي الطريق بين هذه المياه ونهاوند " عمرو بن ثني رجع بعد مسيرة يوم بليلة رغم أن الطريق يمتد لثلاثة أيام وحين سألوه عن السبب رد ردًا وجيهًا حيث قال " لم أكن بأرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضًا عالمها "

بينما أكمل الاثنان الآخران الطريق، في اليوم الثاني رجع عمرو بن معدي كرب فسئل عما رآه فقال إنه لم يرَ شيئًا أما طليحة أكمل المسافة ورأى جيش الفرس وعرف حجمه ووضعه وعاد وأخبر النعمان ليس بينه وبين نهاوند شيئًا يكرهه وحينها أصدر النعمان أوامر التحرك، وجعل على المقدمة اخوه نعيم بن مقرن وعلى الميمنة حذيفة بن اليمان وعلى المسيرة سويد بن مقرن وعلى الطلائع القعقاع بن عمرو وعلى المؤخرة مجاشع بن مسعود، ثم جاء المدد من المدينة يرأسهم المغيرة بن شعبة، لما وصلوا

نهاوند كبر النعمان فكبر الجند ثم أمر بالنزول وعمل معسكر وقد تم وهنا تحرك مجموعة من قادة المسلمين لبناء خيمة النعمان منهم حذيفة بن اليمان، عقبة بن عامر، المغيرة بن شعبة، بشير بن الخصاصية، حنضلة الكاتب، جرير بن عبدالله سيد اليمن، الأشعث بن غيث وغيرهم، لم ير في اللتاريخ بناء بني بأشراف العرب كفسطاط النعمان واستعد الناس لحرب نهاوند وبدأت المعركة يوم الأربعاء واستمرت ليومي الخميس والجمعة وفي يوم الجمعة انسحب الفرس في خنادقهم، المسلمون لما رأوا أن القتال بهذه الشدة بدأو يتشاورون ما الحل، كيف نستطيع أن نقضي على هذا الخطر الفارسي فعندها بدات المشاورات بعمل حيلة، عدد المسلمين لا يزيد عن الثلاثين الف سوى بقليل، أما الفرس فكانوا مائة وخمسين الف وبدأ الترتيب وعزم النعمان أن يباشر القتال بنفسه وعندها أعلن وقال للمسلمين أنه إن قتل فواليهم حذيفة بن اليمان، ورأوا أن حيلة التراجع الوهمي هي الحل وكان قائدها القعقاع بن عمرو، توجه القعقاع وبدأ القتال فخرج له الفرس فقاتلوه فبدأ القتال بين كتيبة القعقاع والفرس فانهزم القعقاع وبدأ بالتراجع، رأى الفرس لأول مرة المسلمين يهزمون من فترة طويلة فبدأوا بالهجوم الكاسح وبدأ الضغط على القعقاع فبدا يتراجع وتقدم الفرس خرج منهم مائة الف رجل وبدا القتال وتجلت الارض بالجثث وظل القعقاع في هزيمته وانسحابه وبدأ يدخل في داخل الجيش الإسلامي المخيم والفرس في ذروتتهم يقودون المعركة ثم فجأة يأمر النعمان بالهجوم ويقوده بنفسه، فجأة تتحول الهزيمة لنصر وهجوم كاسح ولم يعطوا فرصة للفرس بالرجوع الى خنادقهم، بعد أن سحبوهم

كل هذه المسافة، يقدر الله أن النعمان بقدرته القتالية الهائلة يسقط عن الفرس فقتل فورًا ولم يشعر المسلمون بذلك، لم يشعر بذلك سوى أخيه نعيم فأخذ الراية فورًا وأعطاها لحذيفة بن اليمان وقاد المعركة لنهايتها، قاتل المسلمون والفرس قتالا لم ير أيهم مثله لا في القادسية ولا غيرها وظل القتال إلى الليل ولما اظلم الليل انهزم الفرس وضاعوا عن الطريق الوحيد المؤدي إلى قلاع نهاوند وإذ هم بالخنادق من وراءهم قد أشعل فيها المسلمون اللهب فسقط الفرس في اللهب وبدأوا في الفرار من نهاوند.

استطاع قائد الفرس الفيرزان الفرار وتوجه نحو همدان وفورًا تابعه المسلمون واستطاع القعقاع أن يلحقه بنفسه لما رآه من خطر يمثله هذا الرجل وبدات المطاردة العجيبة رجل امام رجل، بطل الفرس يهرب امام بطل المسلمين، احدهم يريد الوصول لهمدان ليجمع قواته والآخر يريد أن يمنع هذا الوصول ويقدر الله أن يلحقه القعقاع عند مشارف همدان ووصل إليه وقتله، وجدوا من ضمن الغنائم سفطين مملوئين جواهر أرسلهما حذيفة لعمر، وسميت نهاوند بفتح الفتوح وكانت نصرًا عظيمًا للمسلمين، بعد مقتل الفيرزان تصالح القعقاع مع أهل همدان، في طريق العودة للكوفة علم حذيفة أن أهل همدان نقضوا الصلح، فأرسل إلى عمر وأرسل إليه عمر فورًا أن يسير إليهم نعيم بن مقرن فعاد معظم الجيش مع النعيم إلى همدان وسيطر على كل المناطق حول همدان وحاصرها فطلب أهلها الصلح مجددًا فصولحوا على الجزية وعندها أهل مناطق ظيمة بالقرب من همدان بدأوا يجمعون قواتهم للقتال بعد شعورهم أن

الخطر اقترب منهم ووصل الخبر إلى نعبم فاستشار حذيفة فأخبره أن يكمل قبل استعدادهم أكثر فهجم عليهم فقتلهم قتلًا شديدًا وسيطر على مناطق الري التي كانت غنائمها توازي غنائم المدائن ووضع الصلح والأمان لباقي المناطق، رأى عمر أن شوكة الفرس بدأت تضعف وما أحب أن يتجمعوا مجددا كتجمعهم في القادسية أو غيرها فحينها عزم على تفريق شوكتهم واتبع نصيحة الأحنف بن قيس أنهم سيستمرون في نقض العهد ما دام يزدجرد حي يجمع القوات هنا فورًا بدأت جيوش اسلامية تتحرك، جيش نحو خراسان بقيادة الأحنف بن قيس، وجيش المجاشع بن مسعود نحو سابور، وجيش بقيادة عثمان بن أبي العاص الثقفي نحو اسطخر، جيش بقيادة سارية بن زنيم الكناني نحو ذرابجرد، وجيش بقيادة سهل بن عدي نحو كرمان، وجيش بقيادة عاصم بن عمرو نحو سجستان، وجيش بقيادة الحكم بن عمرو الثعلبي نحو مكران، وبدأ الانسياح في بلاد العجم في بداية العام الثامن عشر هجريا وبدأت الفتوح، فتحت أذربيجان وفتحت منطقة الباب بقيادة سراقة بن عمرو، وفتحت خراسان بقيادة الأحنف بن قيس وهي من أهم الفتوح لان هذه المنطقة كان يقيم فيها يزدجرد ملك الفرس حيث أقام بمرو في خراسان، وكان يزدجرد يحرض الفرس على المسلمين ويجمعهم من مرو، فوصل الأحنف لملاقاته ووصل إلى منطقة هرات فافتتحها الأحنف ثم أكمل حتى وصل إلى مرو جاهشان فكان فيها يزدجرد وهرب منها ووصل إلى مرو الروض وكتب يزدجرد إلى ملوك الفرس والترك والصغد وملك الصين وقال لهم ساندوني وإلا هذا الفتح يصل إلى بلادكم وفعلا شعروا

بخطورة المسلمين وبدأوا بتجهيز الجيوش لمساندته وهنا شعر الأحنف بهذا الخطر فأمر بالتحرك قبل مجيء الجيوش ووصلت يزدجرد أخبار قدوم المسلمين ففر ووصل إلى بلخ وهي منطقة في نهر جيحون واستطاع الأحنف أن يصل إلى مرو الروض وسيطر عليها ووصلت الأمداد من الكوفة النصره فتوجهوا إلى بلخ وفيها يزدجرد ينتظر المدد، رأى يزدجرد أن ما جاءه جيش صغير ليس كل الجيش فرآها فرصة وخرج بنفسه وجيشه لمهاجمة المدد الذي جاء من الكوفة قبل مجيء الأحنف، وبدأ القتال لم ينتظر يزدجرد قوات حلفاءه، وبقدرة القدير يستطيع المدد الصغير أن يهزم جيش يزدجرد وهرب يزدجرد وعبر النهر وترك بلاده إلى ما ورء النهر، لما عبر وإذ بالأمداد من مناطق الترك والصغد تصل (وهنا نتذكر مقولة القعقاع حين قال " إنما تدور الدائرة لمن يصبر ساعة")، لما تجمعت هذه القوات عبر النهر من جديد لمقاتلة المسلمين مجددًا وترك القوات الحليفة لمواجهة الأحنف في مرو الروض وانطلق هو إلى مرو الشاهجان حيث كنوزه وكان فيها حامية قليلة من المسلمين فهجم عليهم وانتصر وأخذ الخزائن وأراد أن يترك أرض الفرس ويذهب إلى منطقة فرغانة أو الصين ومعه كنوزه فيقيم هناك، وطلب من أهل خراسان أن يذهبوا معه فأمسكوا يزدجرد وقالوا أنهم لن يذهبوا به إلى الصين وطلبوا منه الصلح مع المسلمين مجددًا فأصر قال لا وأصروا على رأيهم فشب الخلاف بين يزدجرد وشعبه وعندها طرد الشعب يزدجرد بلا أموال ولا خزائن فخرج يزدجرد ذليلا من أرضه ليس معه الا القليل من اهله وانصاره وليس معه كنوز ولا ملك، خرج يزدجرد وعبر إلى

أرض الترك وجاء أهل خراسان ومعهم هذه الخزائن إلى الأحنف حيث إن المدد الذي جاء ليزدجرد انسحبوا حين رأوا انسحابه، وصالح الخراسانيون الأحنف وسلموه خزائن يزدجرد وعادوا إلى بلادهم وأموالهم في أمان وصلح واغتبطوا بملك المسلمين ودخلوا في دين الله أفواجًا لما رأوا تعامل المسلمين معهم. كل ما سلف ذكره هو معارك بين جيش قليل العدد يحمل راية الإسلام ويحتمون بها وجيوش عظيمة لا هدف لهم سوى حماية كنوزهم وكنوز ملوكهم انتصر فيها كلها حاملو راية لا إله إلا الله بعزيمتهم على نصر دينهم وحماية الله لهم وهكذا ينتهي الفصل الأول من روايتنا عن معارك المسلمين مع الفرس وفتح بلادهم من أقصاها إلى أقصاها ."

وأرسلها لصديقته الجديدة وبدأ يتحادثان عنها

ليلى: من هو هذا القعقاع، كيف يمكن لبشر أن يفعل ما فعله وأن يغير مجرى الحرب في أيام معدودة من جيش عظيم هائل العدد الجيش لا يستطيع مجاراته لا في العدد ولا في العدة، رجل واحد استطاع تغيير مجار الحرب

عاصم: إنه ليس وحده من غير مجار الحرب يا صديقتي، فإن قوة الله غلبت كل قوة، فمن غير المتوقع أن يصاب سيدنا سعد رضي الله عنه بالدمامل ويتابع حركة الأفيال فيعرف أنهم يتبعون الفيلين الأبيض والأجرب، إنها مشيئة الله أن ينصر دينه وقوته أكبر من أي قوة في هذا الوجود فهو واجده، هو من ثبت أقدام المسلمين وأصاب رميهم وسدد خطاهم

- لكن كيف نحن نتحدث عن جيش في أقصى قوته لا يصل لربع الجيش الآخر في أضعف حالاته
- دعيني أروي عليكي قصة صغيرة لعلك تدركين مقصدي، أنت صنعتي مجموعة من عشر رجال آليين وتعرفين كل نقاط قوتهم وضعفهم وفجأة ينقلب سبعة منهم عليك وينصرك ثلاث فقط، لو

كنت خارج المعركة لانتصر السبعة لكن بسببك أنت يستطيع الثلاثة الانتصار لأنك أرشدتهم إلى النقاط التي سيستطيعون منها الانتصار، فهمت؟

- فهمت لكن القعقاع هذا أسطوري كيف فعل كل هذا دون أن يكون القائد
- هل شاهدت فيلم TROY ؟
- بالطبع ومن لم يشاهده
- القعقاع رضي الله عنه شديد الشبه بشخصية أكيليس فيما عدا أنانيته، المحارب الذي لا يقهر الذي يستطيع ومجموعته القليلة من الجنود أن يغيروا مجرى الحرب بفدائيتهم، مجموعة القعقاع كانت قبيلته بني تميم، كانوا يغيرون مسار أي معركة يشاركون فيها فكانت رؤية القعقاع في أرض المعركة كفيلة بأن ترفع من الروح المعنوية للجيش فهو كان لا يخشى في اللمعارك شيئًا كان كالأسد يهجم على قطيع من النعاج لا يستطيعون فعل شيء أمامه سوى الركض
- لديك قدرة عظيمة على الوصف والتشبيه لذلك أبهرتني بالفصل الأول والمقدمة ولكن هناك شيء ما في المقدمة شد انتباهي وكنت محرجة من الحديث معك في هذه النقطة
- حديثي عن نفسي ووحدتي أليس كذلك؟
- نعم، ألا يوجد لديك أصدقاء إطلاقا؟

- لا، لا يوجد أحد على الإطلاق
- إذا من الآن فصاعدًا هذا الأمر لن يتكرر فأنا هنا لأجلك في أي وقت وكل وقت
- أتعرفين، لقد قال هذه الكلمة كثيرون ولكن في النهاية يملون من قصي للتاريخ
- لكن الفارق هو أني أريد البقاء معك بسبب التاريخ وطريقة قصك له
- لكني أحيانًا أعيد ما قلته مسبقًا بل كثيرًا من الأحيان
- وأنا أبدا لا أمل من التاريخ
- أنت مثلي إذا
- نعم لكن هناك فارق
- وما هو؟
- الفارق هو أني أمل القراءة لذلك أفضل مشاهدة أو سماع التاريخ وأنت بالتأكيد بارع في قص التاريخ، بارع لدرجة أنني لم أمل قراءة ما كتبت فعلاقتنا ستعرف طريقها للنجاح
- كم أتمنى ذلك يا ليلى لكني فقدت القدرة على الثقة بأحد من كثرة ما تعرضت له من الخذلان من كل من ظننتهم أصدقائي ومن سيعوضوني عن وحدتي التي ولدت لها وبها – سأدع الأيام تثبت لك أنني لست كمن خذلوك وبالمناسبة أنا أعاني نفس مشكلتك فأنا لا أصدقاء لي النفس السبب تقريبًا، فأنا أيضًا أقص على كل من اقتربوا مني قصصًا من

التاريخ لكن الفارق أني أروي من التاريخ اليوناني حيث إنه أكثر ما جذبني بآلهته الكثيرة المتنوعة والنزاعات بينهم وبالطبع من ضمن ما قصصت كثيرًا قصة نشأة الكون التي قصصتها في بداية روايتك

- ماذا؟ هل هناك شخص يشبهني في هذه الحياة؟ لقد فاجأتيني فأنا طالما ظننت أنني مثال لا يتكرر في هذه الحياة
- وهكذا ظننت أنا أيضًا لكن القدر يعمل بطريقة غريبة ليجمعنا في هذه الحياة
- ماذا تعنين بيجمعنا؟
- أنا لا أعني شيئًا فأنا لم أعن بها سوى أن نتقابل وفقط .
- يا ليلى، يا عزيزتي، قارئ التاريخ يستطيع قراءة ما بين السطور، أنت معجبة بي أليس كذلك؟
- كيف عرفت؟ إن التاريخ كمفتاح كاشف للألغاز، نعم أنا معجبة بك منذ المرة الأولى التي تحدثنا فيها وتمنيت الو امتلكت الشجاعة الكافية لأخبرك لكنك فطنت للأمر قبل أن أفصح عنه وأتمنى لو ألا يؤثر هذا على صداقتنا
- ألم تفكري فيما دفعني لهذا السؤال؟
- ماذا؟ لماذا؟ هل أنت ..؟
- نعم، أنت تمثلين فتاة أحلامي بكل صفاتها ما رأيك لو نكتب فصلا من التاريخ معا بعد أن جمعنا القدر معًا

- ماذا؟ أنت معجب بي؟ أأنا في حلم أم في واقع؟ أنت تريد أن يجمعنا القدر كما تمنيت طوال عام كامل كنت أخشى فيه الحديث إليك ؟ إنه أسعد أيامي في هذه الحياة
- حتى الآن، إنه أسعد أيام حياة كل منا حتى الآن فالقادم سيكون أسعد بكل تأكيد إن شاء الله
- إن شاء الله، والآن ماذا
- نتقابل وهذه المرة كل منا يعلم كم يحبه الآخر لا أغراب كالمرة الفائتة
- أوافق بكل تأكيد لكن متى وأين
- غدًا في الكلية الساعة الثامنة صباحًا
- الثامنة صباحا؟ ألهذه الدرجة أنت مشتاق لرؤيتي هاها
- تخيلي أن يتحقق حلمك ويصبح بإمكانك الاستمتاع به هل ستنتظري كثيرًا أم ستغتنمي أقرب فرصة للاستمتاع به ؟
- ولم التخيل؟ هذا يحدث معي كما يحدث معك لكني فقط كنت أمازحك
- أعلم لكني لست أفضل من قد يمازحكِ أو تمازحيه وأنتِ تعلمين ذلك
- أعلم ولكني أراك الأفضل في كل شيء وسيغير كل منا كل طبع يراه يحتاج تعديلا في نفسه أو في الآخر وهذا من الأشياء التي أراك تحتاج لتغييرها وسأساعدك على تغييرها

- سأكون سعيدًا، لو قمتِ بهذا ولن تستطيع الكلمات وصف سعادتي لو كان كلامك حقيقيا فأنا كنت أردد هذه الجملة نصًا حين يسألني أحد ما عن الصفة الأهم في فتاة أحلامي
- حسنا يا عزيزي والآن لنخلد للنوم قليلا فكل منا سيستيقظ مبكرًا في الغد وسنقضي اليوم كله معًا سواء حضرنا محاضراتنا أو لم نحضر فاليوم كله سنكون معا
- حسنا يا عزيزتي تصبحين على خير
- وأنت من أهله يا عزيزي
- مع السلامة

ولم يستطع بطلنا أن ينام في هذه الليلة من كثرة التفكير فيما سيفعله في الصباح فتارة يفكر في طريقة السلام هل يكتفي بالإشارة أم يمد يده للمصافحة وتارة أخرى يفكر فيما سيقول وهل يقص من التاريخ أم لا والكثير من هذه الأشياء فهذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها علاقة مع فتاة فهو لم يتحدث حتى لفتاة من قبل، بل كانت كل علاقاته بهن سطحية في حدود الدراسة وكان اليوم الذي تحدث فيه إليها للمرة الأولى ذكرى لم تتكرر مجددا، وبعد تفكير دام ساعات طويلة أخذ يبكي وأخذت دموعه تزين خديه ولم يكن يعلم إن كانت دموع السعادة أو دموع الحيرة والحزن والندم على ما سلف من عمره في قراءة الأحداث المثيرة دون أن يعيش أيا منها فقد كان هذا الأمر يسبب له الحزن الشديد وكان ندبة لم يستطع أن يتغاضى عنها في هذه الفترة، وبعد بكاء طويل ودموع كثيرة

قام واستحم وارتدي أفضل ثيابه ونزل من بيته مبكرًا واستقل سيارته وذهب لجامعته ووصل قبل الموعد بنصف ساعة كاملة وهناك تفاجأ أن ليلى تنتظره من قبل وصوله وحين وصل ذهب إليها وتحدثا في كل شيء يمكن لاثنين أن يتحدثاه في اللقاء الأول في العلاقة الأولى فقد كان كل منهما مليء بالشغف تجاه الآخر فكل منهما لم يجد نفسه قبل أن يقابل الآخر وبعد حديث استمر ساعات ليست بالقليلة اتفق الاثنان على أن يأخذا جولة بالسيارة ويكملا حديثهما هناك بينما يقود عاصم بهما بين الشوارع ليشاهدا الشوارع معًا كما لم يشاهدها أي منهما من قبل فالآن صار لكل منهما أحدا يهتم الأمره ويبالي لوجوده في هذه الحياة بدلًا عن الوحدة التي أخذت من عمريهما الكثير من السنين وأذاقتهما المر رغم صغر سنيهما وحداثتهما في الحياة، أثناء المسير بالسيارة شعر عاصم بحسن اختياره للفتاة التي اختار أن تصحبه في رحلة الحياة فأسلوب حديثها مقارب لأسلوبه إضافة لجمالها الفائق في نظره فهو يحب الفتيات ذوات البشرة القمحية وهي تمتاز بهذه البشرة ويزينها أكثر من هذا شعر أسود لامع قصير بالكاد يصل إلى كتفيها كما كان يتمنى بطلنا في فتاة أحلامه، بالطبع لا يمثل الشكل رأيه كاملا لكنه يمثل جزءا لا يتجزأ من رأيه فالشكل في رأيه لا يقل عن الشخصية بكثير فهو جزء من الفتاة كما أن الشخصية جزء منها . بعد سويعات قليلة شعر عاصم أن الوقت تأخر على ليلى وأنه يجب أن يصطحبها للمنزل فسألها إن كانت تريد منه أن يصل بها إلى بيتها أم إلى نقطة قريبة منه كيلا يسبب لها إحراج أمام أهلها، وطلبت منه أن يفعل ما يحلو له فلا أحد من ذويها سيعترض على أن أحد أصدقائها قام بتوصيلها

للمنزل فهم متفتحون يفهمون أن الأصدقاء لبعضهم وأنهم لا اعتراض لهم على أن تدخل ابنتهم في علاقة طالما تحافظ على أخلاقها ومبادئها وهو شيء لا مساس به، وبالفعل اصطحبها حسن إلى بوابة منزلها وتركها وقلبه يرقص في صدره كطفل وُلد أصم وتعافي من هذه الإصابة واستمع للأغاني للمرة الأولى، وعاد وانكب على مراجع التاريخ اليوناني ليستطيع الإبداع في كتابته عن حرب طروادة كما طلبت منه ليلى وبالفعل بعد ليلة واحدة بدأ في الكتابة في فصله الجديد..

" ملحمة جديدة من الملاحم التي خلدها التاريخ لكن هذه المرة بعيدًا عن الإسلام بما يقرب من ألفي عام، ملحمة تاريخية دونها كتاب التاريخ اليوناني وشعراء اليونان القدامى ألا وهي ملحمة حرب طروادة، بين الحقيقة وخيال الشاعر اختلف المؤرخون حول حقيقة هذه المعركة، يميل الكثيرون إلى أنها حقيقية مع بعض الإضافات الملحمية ويظن البعض أنها مجرد خيال شاعر، لكن الإجماع كان على أنها أحد أعظم ملاحم التاريخ فالحصار الذي دام لعشرة سنوات لم يتكرر مثله في التاريخ أو في الأدب ولم يشهد التاريخ مقاتلا مثل أخيل أو كما يطلق عليه البعض أكيليس، إن كانت القصة حقيقية فإن هوميروس قد زين إلياذته بهذه القصة وزين قصته هذه بوضع الآلهة في داخلها، أما وإن كانت محض خيال شاعر فإن هوميروس أثبت أنه ليس مجرد شاعر له عمل خالد بل أنه استطاع أن يخلد خياله كعمل تاريخي وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظم قدرته على رسم اللوحة التاريخية بكلماته، لكن الأغلب يميل إلى أن هذه الأحداث حقيقية زينها هوميروس وأضاف إليها ما يسمى بلمسة

الشاعر التي تحول التاريخ من مجرد أحداث لقصص تروى على مر الأزمنة والعصور والآن دعونا نروي قصة هذه المعركة.

كان من المتعارف عليه في بلاد الإغريق قديما أن الآلهة كانوا اثني عشر إله من ضمنهم بوسايدون، بوسايدون كان الإله المسؤول عن البحر والموج وكل ما يشمله البحر من أشياء ومن ضمن أفعال بوسايدون أنه بنى مدينة حصينة تطل على البحر وهي مدينة طروادة، مدينة حصينة يستحيل اختراق حصونها بدون معجزة إلهية فهي محاطة بالبحر من ثلاث جهات، تقبع مدينة طروادة القديمة في تركيا حاليا وهذا يذكرنا بمدى صعوبة فتح القسطنطينية فقد فشل العديد من الأمراء والملوك الذين حكموا المسلمين في فتحها واستغرق الأمر من السلطان محمد الفاتح ثلاثة محاولات كي يستطيع فتحها. لنعد لطروادة، في فترة من الفترات الأخيرة في حياة طروادة كان الحاكم يدعى بريام وكان مزواجًا بدرجة يصعب وصفها حيث إنه يقال إنه كان له ما يزيد عن الخمسين ابن وبنت كان أشهرهم واحد من أفضل المقاتلين في عصره إن لم يكن الأفضل بعد أخيل ألا وهو هيكتور، كان لهيكتور أخت من أمه تسمى أليكساندرا تقول الروايات أن أحد الآلهة قد أحبها فرفضته فأعطاها البصيرة، هذه البصيرة هي العين الثالثة التي تطلع صاحبها على عالم الماورائيات وعلى الغيب، صارت أليكساندرا كالمجنونة لا يثق في حديثها أحد فهي لم تعد كما كانت من قبل أن تُلعن، وفي أحد الأيام كانت والدة هيكتور وأليكساندرا حاملا بطفل فقامت أليكساندرا بالإضافة إلى العديد من الكهنة بتحذير الملك بريام بأن هذا الولد سيكون سببًا في هلاك طروادة وصدقهم بريام

وبالفعل أمر بريام حاجبه أن يقتل هذا الولد الذي أسماه باريس لكن الحاجب تعاطف مع الوليد ورأف به وأعطاه لراعي غنم وظل باريس يرعى الغنم في صغره حتى كبر وحدث الحدث الذي غير مجرى التاريخ . كان من المتعارف عليه قديما أن آلهة الإغريق كانوا اثنا عشر إلها وإلهة، في أحد الأيام أتى التسع آلهة إلى هيرا وأثينا وأفروديت وكانوا يحملون تفاحة ذهبية وأخبروا الإلهات الثلاث أن هذه التفاخة ستذهب لأجملهن لكن الآلهة التسعة كانوا يرونهم متساويات في الجمال فتركوا لهم التفاحة وأخبروهم أن يحتكموا فيما بينهم واتفق الإلهات الثلاثة أنهم سينزلون من الجبال الأوليمبية وسيحتكمون لأول غريب يرونه، وكان هذا الغريب هو الجميل الفاتن باريس والذي سألته أفروديت عن أيهم أجمل وأعطته التفاحة الذهبية فسألهم ما المقابل الذي ستعطيه أيهن إياه إن اختارها فقالت هيرا أنها ستعطيه السلطة أما أثينا فقد قالت أنها ستمنحه الحكمة والحب أما أفروديت فقالت أنها ستهبه أجمل امرأة في الكون فأعطاها لأفروديت ولتوفي أفروديت بعهدها له أعادته لأهله مرة أخرى، وكانت عودته سببًا في اعتراض أخته أليكساندرا لكن لا أحد كان يصدقها هذه المرة سوى أخوها هيكتور لكن تصديقه لها لم يكن كافيا هذه المرة، فوالده كان قد اقتنع تماما أن ابنه قد عاد لكنفه مجددًا وبالفعل في أول رحلاته اصطحبه وهيكتور معه ولسوء الحظ كانت رحلتهما إلى اسبرطة حيث توجد هيلين أجمل جميلات الحياة في هذا الوقت وهنا كان وقت تحقيق وعد أفروديت لباريس حيث إنه فتن بهيلين وفتنت به هيلين ورقصا معًا وأثناء الرقص اتفقا معًا على أن تهرب معه أثناء عودته لطروادة وبالفعل

هربت معه على السفينة وفي أثناء الرحلة أخبر باريس أخاه هيكتور بأن هيلين معه على السفينة وهنا أخبره هيكتور أن هذا سيسبب نكبة طروادة ورأي هيكتور أنهم يجب أن يعيدوها كي لا تقوم الحرب التي لن يقووا عليها بعد تحالف كل قوات اليونان مع أجاممنون الأخ الأكبر لمينالأوس زوج هيلين والذي كان في هذا الوقت ملكًا لليونان كلها وكان مينالأوس حاكمًا لاسبرطة تحت رايته، ولكن باريس ارتأى أن يصطحبها معه إلى طروادة وبالفعل اصطحبها معه إلى طروادة وأخذ المكافأة التي وعدته بها أفروديت وحق عليه القول " جنت على أهلها براقش "حيث إنه جلب غضب كافة أهل اليونان على أهله، هنا غضب مينالاوس غضبة شديدة ولجأ لأخيه أجاممنون كي يحاربوا طروادة ويسترد زوجته التي سلبه إياها باريس، وبالفعل تحركت مئات السفن من كل أرجاء اليونان نحو طروادة وحاصروها حصارًا دامًا لعشر سنوات حسب إلياذة هوميروس ولو أن العلماء رأوا أن الحصار لم يكن ليصل لهذه المدة الصغر حجم المدينة الحقيقية لكن دعونا نتبع إلياذة هوميروس فهي المصدر الوحيد لهذه المعركة، في هذه العشرة سنوات قتل أعظم مقاتل عرفته أراضي اليونان الابن الأكبر لبريام نعم هو أخيل من قتل هيكتور ودعونا نتحدث قليلا عن أخيل، كانت أمه أحد حوريات البحر تسمى ثيتس وقع في حبها زيوس كبير آلهة الإغريق وبوسايدون إلى البحر وأرادا الزواج بها لكن إلهة العدالة رأت أن تلك الحورية ستلد ولدًا أقوى من أبيه فتراجع زيوس وبوسابدون وأرادا تزويجها لبيريوس كبير المرامدة وهم أشجع وأقوى محاربي اليونان القديمة لكن ثيتس رفضت الزواج منه وغيرت شكلها

لكنه استطاع أن يأسرها في النهاية وتزوج بها في حفل عظيم دعي إليه كل الآلهة ما عدا إيريس إلهة الفتنة، بعد الزواج أنجبت ثيتس طفلًا ذكرًا أسمته أخيل وكانت تخاف من كونه بشريا لذا فعلت كل ما في وسعها لجعله خالدا، أحرقته على النار كل ليلة وكانت تضمد جروحه بطعام الآلهة الذي يمنحهم الخلود ثم كانت تغمسه في نهر ستيكس والذي قيل إن ماءه تمنح المناعة والحصانة ولكن للأسف لم تستطع غمره بالكامل بمياه النهر حيث كانت تمسك به من كعب قدمه لذا أصبح منيعًا ومحصنًا في كل جسده ما عدا كعب قدمه الذي لم يغمر في مياه النهر. عندما أتم أخيل عامه التاسع تنبأ الرائي أنه سيموت بطلًا في معركة ضد أهالي طروادة عندها أخفت ثيتس ابنها في زي فتاة وأرسلته ليعيش في جزيرة ما بعيدة عن الحروب لكنه سرعان ما عاد وانضم للجيش اليوناني، في محاولة أخيرة من ثيتس لإنقاذ حياته طلبت من هيتاستوس رب النار وراعي الحرفيين أن يصنع درعًا قويًا وسيفًا الولدها أخيل من شأنهما أن يبقياه في أمان وعلى الرغم من أن الدرع لم يجعل أخيل خالدًا، لكنه جعله مميزًا بين زملائه، عندما أعلن أجاممنون الحرب على طروادة التحق أخيل بالجيوش واستمر الحصار قرابة العشر سنين لم يستطع خلالهم اليونانيون اختراق أسوار طروادة الشاهقة وقد قاد أخيل المعارك الواحدة تلو الأخرى وحقق نجاحًا كبيرًا في الحقيقة لم يهزم في أيها لكن الحرب قد وصلت الطريق مسدود، خلال الحرب قام أجاممنون باتخاذ فتاة طروادية محظية له وهي بنت لأحد كهنة أبولو وقد حاول والد الفتاة تحريرها بالمال لكن أجاممنون سخر من توسلاته ورفض الإفراج عنها وعندها غضب

الإله أبولو غضبة شديدة وعاقب الجيوش اليونانية بإرسال طاعون أخذ يقتل في الجنود واحدًا تلو الآخر حينها استسلم أجاممنون وترك الفتاة تعود لوالدها وأراد استبدالها ببريسيس خليلة أخيل الذي وافق وتخلى عن خليلته لكن في المقابل أعلن أنه لن يقاتل في صفوف اليونايين وجمع متعلقاته وجلس في خيمته ورفض الخروج، بعد تخلي أخيل عن المعركة بدأت الكفة تميل نحو الجيش الطروادي وخسر اليونانيون المعارك الواحدة تلو الأخرى فوجود أخيل كان يزرع الخوف والرهبة في قلوبهم وغيابه زادهم قوة في مواجهة اليونانيين، وفي نهاية المطاف استطاع باتروكولوس أقرب صديق لأخيل أن يتوصل لحل وسط لن يحارب أخيل ولكنه سيسمح لباتروكولوس باستخدام درعه القوي وبذلك سيظن أهالي طروادة أن أخيل قد عاد للمعركة مما سيزرع الخوف والرهبة في قلوبهم مجددا، كانت الخطة تعمل كما هو مطلوب إلى أن تدخل أبولو للمرة الثانية وساعد هيكتور في إيجاد باتروكولوس وقتله ظنا منه أنه قتل أخيل، عندها أقسم أخيل على الانتقام وقتل هيكتور وبالفعل قتله بطنعة في حلقه أودت بحياته، كان أخيل منتقما وسريع الغضب وكان على أتم الاستعداد للتضحية بأي شيء لأجل أصدقائه وعائلته، بعد قتله هيكتور سحله خلف عربته وعاد به إلى معسكر اليونانيين وألقى جثته على كوم قمامة، كان هيكتور قد أوصى أن يتم دفنه في مراسم رفيعه لكن أخيل العنيد لم يستجب لتوسلات والد هيكتور لاستعادة جثته، بعد مقتل العديد من الجنود أرادت أثينا ربة الحرب أن تضع النهاية لذا أعطت اليونانيين الخطة التي ستمكنهم من الانتصار في الحرب ألا وهي حصان

طروادة، وكان أخيل أحد الجنود المختبئين داخل الحصان وعندما أدخل الطرواديون الحصان داخل المدينة تسلل منه الجنود ليلا وأشعلوا النار في طروادة وانتصروا أما أخيل فقد قتله باريس الماهر في رمي السهام وقد أصابه في كعب قدمه وهكذا انتهت مسيرة أشهر جنود اليونان على الإطلاق . تمكن باريس واليكساندرا والعديد من الطرواديين من الهرب من طروادة من خلال نفق في القلعة وهكذا انتهت قصة طروادة للأبد وبعد قرون كثيرة قال الرومان أنهم آخر من تخلف من أهل طروادة."

ما أن انتهى من كتابة هذا الفصل حتى أخذ يفكر مليا في هل سيضعه حقًا في كتابه أم سيكتفي بإرساله لمحبوبته التي أرسلها له القدر ليكمل الإنجاز الذي سيجعل له قيمة بين الناس فيما بعد أم أنه سيحذفه لأنه أصغر من الفصل السابق واستقر في النهاية على أن يضعه في كتابه كفاصل بين معارك المسلمين مع الفرس ومعاركهم مع الروم، وقرر أيضًا أن يرسله لليلى تلك الفتاة المتيمة بالتاريخ اليوناني والتي ملأت حياته بالسعادة في وقت قصير ليس فقط لأنه أحبها وأنها أحبته بل أيضًا لأنه شعر أنه وجد نموذجًا مشابهًا له وأنه ليس الوحيد الذي أفسد شغفه حياته ووجد بالصدفة من يصلح له هذه الحياة التي عاش فيها وحيدًا أكثر مما عاش محاطًا بالبشر، كانت هي القطعة التي حولت أحجية السعادة من مستحيلة الحل إلى بسيطة يمكنه حلها بسهولة بمجرد أن يرى ابتسامتها الجميلة مرسومة على وجنتيها، وما إن قرأتها حتى أبدت إعجابها بها كثيرا

ليلى: أنت كاتب رائع يا عزيزي، سيكون لك شأن كبير بين الكتبة وهذا الكتاب سيحقق نجاحًا مبهرًا، أنا قد انجذبت لسردك للأحداث رغم أني أعلم أغلبها لكن سردك أضاف متعة لمتعة الأحداث أنت رائع وأنا لا أجد كلمات كافية لتصف فخري بك عاصم: أنا سعيد لأنه أعجبك فقد ظننت أنك ستشعرين بالضيق لأنه ليس مليئا بالتفاصيل كما حدث في معارك المسلمين مع الفرس

- لا يا عزيزي لقد أوجزت وأنجزت فالكثير من التفاصيل في مثل هذه المعركة قد يجعلك أقرب للمؤرخين وهذا لا يناسب طبيعة كتابك الذي تكتبه بغرض تخليد ذكرى بعض الأشياء التي ترى أنها لم تأخذ حقها في التخليد التاريخي
- بالضبط يا عزيزتي لهذا لم أسرد كثيرًا من التفاصيل كي لا أكون كالكثيرين الذين سردوا في هذه الحرب سردًا كثيرًا إضافة إلى أنني أعتبرها فاصلا بين المعارك الإسلامية التي ستأخذ مساحة أكبر في السرد
- أعلم هذا لهذا سررت أنك فعلت ما أوجبته عليك مهارتك الكتابية لا ما كنت تظن أنني أريده، والآن ما التالي؟
- بيننا أم في الكتاب؟
- في كليهما
- لنبدأ بالكتاب، القادم هو أيام اليرموك
- رائع، هل كان للقعقاع دور بها ؟

- لا، كانت القادسية معركة القعقاع رضي الله عنه أما اليرموك فهي معركة سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه القائد الذي لم يعرف طعم الهزيمة قط سواء كمشرك قبل إسلامه أو كمسلم
- لقد حمستني خاصة أن هذه المعركة علمت أنها كانت صعبة على المسلمين
- لم تكن صعبة فقط بل كانت بحسابات البشر مستحيلة لكن دوما في معارك المسلمين هناك ما يخالف حسابات البشر فالقادر يكون في صفهم، القادر على أن يجعل رجلا يقتل عشرات أقوى منه في صفهم، وهكذا
- ونعم بالله، أنت ذكرت أن هناك جديد سيحل بيننا ما هو
- يا لي من ثرثار، لقد أفسدت المفاجأة
- مفاجأة ؟ أي مفاجأة؟
- لا يمكن أن أخبرك في محادثة كتابية سأتصل بك
- حسنا

وبالفعل اتصل بها عاصم ودار الحوار كالتالي،

عاصم: ألم يخبرك أحد بشأن هذه المفاجأة

ليلى: لا، أقسم لك أني لا أعلم شيئًا مما تقول أخبرني أرجوك

- لقد وصلت لرقم هاتف والدك واتفقت معه على أن أزوركم يوم الخميس القادم

- ما.. ماذا؟ أتتحدث بجدية؟ أن.. أنت تمزح أليس كذلك؟
- وهل هناك مزاح في هذا الشأن ؟ أنا أريدك معي لما تبقى من عمري لتزينيه بالبهجة كما زينتي أيامي وأسابيعي السابقة
- لكن .. لكن، نحن نعرف بعضنا لفترة قصيرة
- وهل قلت إننا سنتزوج غدًا؟ إن وافق والدك فسنظل مخطوبين لبعضنا البعض حتى نتخرج وأنت تعلمين أني قد ورثت شركة من أبي رحمه الله وأني يدخلني منها مبلغًا يكفينا لبدء حياتنا سوية إضافة إلى عملي بعد التخرج فالأمور المادية ميسورة ومعرفة بعضنا البعض ستحدث أثناء فترة الخطوبة فلا أرى أي مشكلة
- ولا أنا لكن الأمر فقط فاجأني
- إذا هل تقبلين بأن آتي وأطلب يدك من أباك
- بالطبع أوافق أنت لا تدري كم أنا فرحة بهذا الخبر، أنا فرحة لدرجة أنني أعجز عن تصديقه حتى الآن، أنت دوما ما تجعل أيامي سعيدة أشكرك على وجودك في حياتي وأتمنى أن يستمر وجودك للأبد
- أنت من زين حياتي بالألوان الزاهية بعد أن كانت لا تعرف سوى الأسود وأنا أتمنى بقاءك أكثر مما يمكنني وصفه
- سأنتظرك يوم الخميس القادم وسأبدء في الاستعداد الاستقبالك بأبهى صورة قد تراها لي يوما

- لا حاجة لبذل الكثير من الجهد فكل مرة أراكي فيها تتهلل أساريري وأشعر أني قد وجدت أخيرًا من يجعلني أستحق الحياة
- أنت تستحق الحياة سواء معي أو بدوني بل وتستحق أن تحيا بسعادة
- بدونك؟ أنا لم أعرف طعما للحياة بدونك، كانت حياتي محصورة على مجرد مداد على ورق أنت من جعل منها حياة تستحق أن يحياها أحدهم
- لكن عليك أن تعتاد الحياة بدوني
- لماذا؟
- لماذا ماذا؟
- ماذا علي أن أعتاد الحياة من دونك
- لا عليك سأخبرك يوم الخميس ولكن لدي طلب قبل أن تأتي
- وما هو؟
- أريدك أن تنهي كتابك أو على الأقل أن يتبقى منه فقط الخاتمة
- حسنا ولكن لماذا ؟
- ستعرف يوم الخميس يا عزيزي عاصم
- اسمي يبدو أجمل حين ينطلق من شفتيك ليخترق قلبي كأنه سهم من كيوبيد
- أنا أحبك كثيرًا رجاء لا تتأخر يوم الخميس

- وكيف يمكنني أن أتأخر عليكي يا قلبي
- حسنا الآن سأذهب للاستعداد لملاقاتك
- حسنا يا عزيزتي إلى لقاء قريب إن شاء الله
- إلى اللقاء يا عزيزي

لم تكد مكالمتهما تنتهي حين انكب عاصم على مراجع التاريخ الإسلامي ليتذكر تفاصيل حروب المسلمين مع الروم وقرر أن يكتفي بمعركة اليرموك وفتح دمشق كي يستطيع إنجازه في الثلاثة أيام المتبقية حتى يوم الخميس وبالفعل استطاع أن ينتهي منه يوم الأربعاء وهذا ما كتبه:

اليرموك وما ببعدها..

اصطدمت الصفوف الأمامية لجيش هرقل من العرب النصارى بالصفوف الأمامية للجيش الإسلامي

صار أبو عبيدة قلقًا فالمعركة أصبحت حتمية قوات العدو كانت أكثر من ٢٠٠ ألف مقاتل وبدأوا يتحركون نحو المسلمين بدأ أبو عبيدة يشعر بالقلق وجمع مجلس الحرب وبدأ يشرح لهم الموقف وبدأ الجيش يتابع في صمت الجيش الأعظم الذي رأته البشرية في هذا الوقت بدأت بعض الأفكار بالانسحاب حيث إن جيش الروم لن يستطيع البقاء في مكانه ولن يستطيع دخول جزيرة العرب بسبب طبيعتها الصحراوية قوبل هذا الاقتراح بالرفض رغم كونه يبدو كخطة محكمة والسبب أن جيش الروم لن يدخل جزيرة العرب لأنه يعرف خطورة الوضع إن دخلها بل سيكتفي بالاستقرار في الشام وتضيع كل الفتوح التي فتحها المسلمون في

بلاد الشام في ثلاث سنوات وبدأ البعض يرون أن يقاتلوهم في مكانهم في الجابية كل هذا وخالد بن الوليد صامت فالتفت له أبو عبيدة وقال "أبا سليمان ما الرأي"

فقال خالد " ما قالوه حسن ولكني أرى رأيا آخر"

أبو عبيدة " قل "

خالد " أيها الأمير إذا انتظرت في هذا المكان فأنت ستساعد العدو عليكم قيصارية تحرك منها أربعون ألفًا وسيأتي المزيد بقيادة قسطنطين بن هرقل وسيعرضوكم للخطر من الجنوب، أنا أرى أن تنتقل من هنا وتتراجع إلى منطقة اليرموك وهكذا سنكون أقرب إلى جزيرة العرب فيسهل على الخليفة إرسال التعزيزات إلينا، وفي نفس الوقت نحن لسنا في هضبة – فالحركة في الهضبة صعبة – فنكون في سهل يسهل علينا الحركة فنحن نحسن الحركة على الخيول أكثر منهم، فالسهول ملئمة لحركة الخيول "

هكذا كانت خلاصة رأي خالد بن الوليد وبعد المشاورة وجدوا أن رأي خالد أحق بالموافقة عليه ووضع التحرك موضع التنفيذ وترك خالد مع ٩٠٠٠ فارس وهم الحرس المتحرك الذي يستطيع التحرك بسرعة في مؤخرة الجيش كي يحموا الجيش وهو ينسحب، تحرك الجيش ورجع إلى اليرموك في هذه الأثناء فعل خالد فعلًا عجيبًا فلم ينتظر في مكانه في الجابية وإنما تقدم وقاتل قوات الروم التي بدأت تتقدم، وفوجئ الروم بهذا الهجوم وبدأوا يتراجعون وهذا ما أراده خالد حيث إنه أراد تعطيلهم كي ينسحب الجيش كاملًا من الجابية، طبعا القوات الأمامية للروم

قررت الانتظار حتى يكتمل جيشها لأن خالد هو من بادر بالهجوم ولم يتقدموا خطوة، وأثناء وقوفهم كان خالد انسحب وعاد للكتلة الرئيسية لجيش المسلمين، بعد بضعة أيام من التحرك وصل المسلمون إلى سهل اليرموك، انضم إلى أبي عبيدة ألوية شرحبيل وعمرو بن العاص فاتح الفردوس ويزيد وبدأت هذه المجموعات تنتظم وتعيد ترتيبها في انتظار قدوم الجيش الروماني الذي توقع المسلمون أن يأتي من جهة الشمال الغربي تقدم الجيش الروماني بقيادة العرب النصارى بقيادة جبلة بن الأيهم واصطدم بحراس المسلمين في المقدمة في سهل اليرموك لكن قوات المسلمين اضطرت للانسحاب لعظم جيش الروم وقلة عدد المقاتلين المسلمين، الآن الجيش المسلم المكون من ٣٥٠٠٠ مقاتل في أتم الاستعداد للمعركة وكذلك الجيش الروماني الذي قوامه يزيد عن ٢٠٠ ألف مقاتل، استقر الجيشان في سهل اليرموك وبدأت الاستعدادات للمعركة من نظام الاستطلاعات والاستخبارات والخطط وتفقد العتاد وأخذ هذا وقتا وجيوش الروم في تزايد حتى قال أحد المسلمين

" ما أكثر الروم "

فسمعه خالد رضي الله عنه وقال

"لا تقل هذا بل قل ما أقل الروم إنما تنصر الجيوش بالإيمان " وبدأ الروم يقتربون ويكثرون كأسراب من جراد كما وصفهم من رأوهم عن قرب من كثرتهم، وصل قائد الروم ماهان إلى أرض المعركة وما كاد يستقر حتى وصلته تعليمات من هرقل يطلب فيها ألا يبدأ القتال وأن يرسل للتباحث

مع المسلمين فهو يعلم من كتابه المقدس أن هذا الدين سينتصر وأنهم سيأخذون الشام فأرسل لماهان بذلك وأمره أن يعرض عليهم شروطًا سخية كي يتوقفوا عن قتالهم فأمر هامان بإرسال أحد الملوك النصارى من أوروبا هو جريجوري فذهب لأبي عبيدة وعرض عليه عرضًا سخيًا ألا وهو أن يتخلى المسلمون عما فتحوه من بلاد ويعودوا إلى جزيرة العرب ويأخذوا معهم كل ما يستطيعون حمله في مقابل أن يتركوا الأرض للروم، فرفض أبو عبيدة فالقضية لم تكن قضية غنائم بل كانت قضية

" إن الحكم إلا الله " فأرسل هرقل رسولا آخر هو جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة وهو عربي نصراني لأنه عربي قد ينجح في التفاهم مع العرب أكثر من الأوروبي جريجوري، هنا قام ماهان بعملية جس نبض ليرى مدى استعداد جيش المسلمين ورد فعلهم على هذا الجيش الكبير لعل معنوياتهم قد انهارت فأمر بهجوم من قبل جبلة بن الأيهم فقط جيش المقدمة من العرب النصارى فتقدم جبلة بجيشه وهاجموا جيش المسلمين، في منتصف جمادى الآخر عام ١٥ هجرية، وإذ المسلمون مرتبون في ترتيب معركة تقدم جبلة بحذر وببطء إلى الأمام، وفوجئ إذ بخالد يهجم عليه وبقوات خالد تحيطه من الجانبين فخاف جبلة من ذلك فقاوم قليلا ثم أمر بالانسحاب وتأكدت مخاوف ماهان أن هذا الجيش لن يهزم فهو جيش قوي سريع والقتال مع هذا النوع من الجيوش لا يكون سهلا أبدا، توقف ماهان ينتظر أوامر هرقل بألا يبدأ بالهجوم والمسلمون لم يبادروا بالهجوم فهم أذكى من أن يهاجموا جيشًا قوامه ٢٠٠ ألف مقاتل وظل هذا الأمر شهرًا كاملًا والقوات مستعدة لكنها لا تحارب واستفاد

المسلمون من هذه الفترة حيث استطاع خليفة المسلمين عمر رضي الله عنه أن يجمع ٤٠ ألف مقاتل من جزيرة العرب ويرسلهم كمدد من بينهم ألف صحابي من صحابة النبي ومن بينهم ١٠٠ ممن اشتركوا في بدر، وكان من ضمن هذا الجيش الزبير بن العوام رضي الله عنه ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان معهم أيضًا أبو سفيان قائد مكة وزوجته هند بنت عتبة فازدادت قوة المسلمين الآن، شعر ماهان أن الانتظار ليس من صالحه فإطعام ٢٠٠ ألف من المترفين مكلف جدًا على عكس جيش العرب المعتاد على حياة الصحراء وعلى أن يقتاتوا على القليل، فقرر بمحاولة أخرى من أجل السلام وقرر إجراء المحادثات بنفسه فطلب من المسلمين أن يبعثوا إليه رسولا إلى مقر قيادته هنا اختار أبو عبيدة خالد بن الوليد رضي الله عنه مع نفر من الرجال القيادة المفاوضات مع ماهان، تحرك خالد ودخل معسكر الروم وبدأت المحادثات قام كل طرف ببعض التنازلات لكنها كانت غير كافية فالروم يريدون الأرض وهذا ما أراده المسلمون أيضًا ماهان بدأ يهدد خالد بجيشه العظيم وعرض مبالغ كبيرة لكل مسلم في الجيش ومبلغ كبير لخالد وأبي عبيدة ومبلغ أكبر لعمر في المدينة فضحك خالد ورد قائلا

" الإسلام أو الجزية "

لكن الخيار الوحيد الذي تبقى كان السيف وهذا اللقاء عرف ماهان وخالد ببعضهما البعض وعرف خالد أنه يتعامل مع رجل صلب شديد وقوي وقادر على إدارة المعركة، وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود واتضح أكثر أن المعركة ستبدأ في أي وقت وبدأت الاستعدادات الكبيرة

والنشاط الكبير للجيشين لأن المعركة قد تحدث في أي لحظة وبالفعل وزعت الأوامر ووضعت الفوالق والألوية في مراكزها كل قائد وفرد عرفوا مكانهم وبدأت الصلوات والابتهالات في الطرفين من أجل النصر ورفعت الصلبان من قبل الروم وبدأوا رجال الدين يحمسونهم للدفاع عن ارض المسيح ومقدساته وأقسم عشرات الألوف منهم أن يموتوا مقاتلين وكذلك المسلمين كانت تقرأ فيهم سورة الأنفال التي تعرف بسورة القتال وتعلمهم معنى الجهاد والقتال في سبيل الله وتحركت النفوس كلها مهيئة لمعركة عظيمة حاسمة لنأخذ نظرة سريعة على ميدان المعركة، يمتد سهل اليرموك بين الجيشين ويحاط من جانبيه الغربي والجنوب بمنحدرات عميقة شديدة من الغرب ينفتح على وادي الرقاد الذي يتصل بنهر اليرموك، ويمتد هذا النهر من الشمال الشرقي حتى الجنوب الغربي في مسافة تقدر ب١١ ميل، خلال وادي عميق محاط بحافتين شديدتين في الانحدار ويخف هذا الانحدار عند الطرف العلوي ويمكن عبوره في عدة أماكن لكن هناك ممر رئيسي في قرية تسمى كفر إلة حاليا، وادي نهر اليرموك يقع جنوب أرض المعركة ويمتد من منطقة جلين ويسير متعرج وينعطف مسافة ١٥ ميل حتى يلتقي بوادي الرقاد، ثم يستمر الجريان حتى يتصل بنهر الأردن جنوب بحيرة طبرية، في جرين يجري جدول من جهة شمال الشرق يصب في وادي اليرموك ليصبح نهر اليرموك الجزء الغربي والأوسط من السهل يمثل ميدان المعركة، في سهل اليرموك يوجد تل يسمى تل السمن وهو يبعد حوالي ٣ أميال جنوب غرب قرية نوى حاليا، ويوجد تل يسمى تل الجابية وهو يوجد شمال

غرب نوى لكن هذا خارج ميدان المعركة، أما السهل الذي تجري فيه المعركة فهو سهل منبسط ينحدر تدريجيا من الشمال إلى الجنوب مع بعض التعرجات وفيه بعض المنحدرات شديدة تمثل عائقًا لكنه ليس خطيرًا، فتح ماهان الجيش الامبراطوري للمعركة أمام وادي العلان الذي كان في هذا السهل واستخدم جيوشه الأربعة النظامية لتشكيل جيش المعركة، طول جيش الروم كان ١٢ ميل من اليرموك حتى جنوب تل الجابية ووضع ماهان جيش جريجوري في الميمنة وجيش قناطير في الميسرة وفي القلب وضع جيش درجان وجيش ماهان وفي قيادتهم كان درجان ووزع خيالة الروم بين الجيوش الاربعة بالتساوي وتشكل الجيش للمعركة ووضع المشاة في الأمام وجعل الخيالة في الخلف وفتح خط المعركة ما يعني بداية المعركة الفعلية وفتح ماهان جيش جبلة من العرب النصارى ممتطيي الخيل والإبل مهمتهم التغطية والمناوشة واشغال المسلمين حتى يبدأ الهجوم الكاسح، جيش جريجوري المكون من ٣٠ ألف والذي يمثل الجانب الأيمن للروم كان يستخدم السلاسل لربط الجنود ما عدا الخيالة، كانوا يربطون كل ١٠ في سلسلة كي يدافع كل منهم عمن رُبط معه فيزدادوا حماسًا ورغبة في النجاة، جيش الروم كانت قوته حوالي خمس أضعاف جيش المسلمين وهنا استغل ماهان هذا التفوق العددي في نشر جيش جبلة كساتر أمامي فينشر المسلمون جيشهم كذلك فيصبح قوام المسلمين رقيق أمام قوام الروم الكثيف، كان عدد صفوف جيش الروم أكثر من ثلاثين صف متتالي لما رجع خالد من محادثاته مع ماهان وأخبر أبا عبيدة أنه انتهت المفاوضات وأن الأمر سيقرره السيف وأن المعركة

سوف تبدأ، أبو عبيدة بدأ ينظم العمليات ويرتب الجيش وكله ثقة في نصر الله ورضا بقضائه، مهارة أبي عبيدة كانت محدودة مقارنة بمهارة خالد في الحرب، وخالد وقادة الجيش كانوا يعلمون أن أبا عبيدة أقل مهارة منهم جميعًا في قيادة الجيش لكنه كان أتقاهم وأقربهم إلى الله، كان أبو عبيدة يعتمد اعتمادًا كبيرًا على مشاورة قادة الجيش كونه تقي وورع فكان هذا أدعى للشورى فكان الذي يدير المعركة فعليا من الناحية العسكرية هو خالد رضي الله عنه فما أبدى رأيا إلا واخذه أبو عبيدة فكان أبو عبيدة القائد الرسمي لكن خالد كان القائد الفعلي للمعركة فقال خالد " أيها الأمير اطلب جميع قادة القتال ليستمعوا ما أقول "

فهم أبو عبيدة المقصود أن خالد يريد إدارة المعركة بنفسه، هنا أبو عبيدة بحنكته لم يتردد فجمع القادة وقال أوامركم عند خالد وصار خالد القائد العسكري للمعركة بينما أبو عبيدة كان هو المسؤول عن القضايا الإدارية من طعام وخلافه، وزع خالد جيشه على أساس كتائب أو كما كانوا يسمونها في ذلك الوقت كراديس مشاة وخيالة ضمن الألوية، كان جيش المسلمين حوالي ٤٠ ألف منهم ما يقرب من ١٠ آلاف على الخيول فقسمت هذه القوة إلى ٣٦ كتيبة كل كتيبة تتألف من ٨٠٠ إلى ٩٠٠ رجل وثلاثة كتائب من الخيالة كل كتيبة فيها من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ فارس وحرس متحرك تعداده حوالي ٤٠٠٠ فارس، كان قادة كتائب الخيالة هم قيس بن غبيرة وميسرة بن المسوء وغيرهم وكل لواء يتكون من مجموعة من كتائب المشاة وكتيبة من الخيالة، جيش الروم كان قد نشر نفسه على ١٢ ميل فاضطر جيش المسلمين أن ينشر نفسه على نفس

المساحة كي يواجه جيش الروم، الجناح الأيسر للمسلمين وصل إلى نهر اليرموك والجناح الأيمن وصل إلى طريق الجابية، لواء يزيد كان على اليسار ولواء عمرو بن العاص كان على اليمين، القلب كان لوائين شرحبيل يمين القلب وأبو عبيدة يسار القلب من بين قادة الكتائب في لواء أبي عبيدة كان عكرمة بن أبي جهل وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وخلف القلب خالد ومعه الحرس المتحرك وكتيبة من الخيالة احتياط يتحركون لمساندة أي جهة يبدو فيها الضعف، وأصدر خالد أمره أن قيادة الخيالة هؤلاء والحرس المتحرك يكون تحت إمرته شخصيا وإذا انشغل سيكون تحت إمرة ضرار بن الأزور، وكان هناك مجموعة من الكشافين وقسم المؤونة والخلف وغيره، جيش الروم كان حوالي ٣٠ صف لما انتشر بينما كان جيش المسلمين فقط ٣ صفوف، كان النبالة في الأمام ويرمون حتى يمنعون الجيش أن يقترب منهم، إذا اقترب الجيش يتراجع النبالة ويتقدم حاملوا الرماح يضربون الخيول والمتقدمين وخلف هؤلاء يكون المشاة ثم الخيالة، لوائي الجناحين كان لديهم كتائب خيالة احتياطية في حال لو حدث وزعزع الروم جيوش المسلمين، كان جزء من خطة خالد أن يضغط على جيش الروم حتى يضطرهم للسقوط في الوادي لو استطاع، النساء والأطفال كانوا في معسكرات خلف الجيش وأمر أبو عبيدة أن يكون معهم أعمدة وحجارة لو رأوا مسلمًا فارًا يضربونه بها، تفقد خالد وأبو عبيدة جيشهم وبدأوا في تحميسهم، الليلة التالية كانت ليلة حارة رطبة في الأسبوع الثاني من رجب ١٥ هجرية، قضاها المسلمون في الصلاة وقراءة القرآن وتذكير بعضهم بعضًا بالنصر

أو الشهادة، وارتفعت ألسنة النيران في المعسكرين والكل يترقب اليوم التالي، كان هذا عشية المعركة الأعظم بين المسلمين والصليبيين على الإطلاق. اصطف المسلمون لصلاة الفجر ويقود الصلاة أمراء الألوية وأمراء الكتائب ما انتهت الصلاة إلا وقد أسرع كل رجل إلى مكانه وبطلوع الشمس كان الجيشان قد اصطفا يراقب بعضهما بعضًا وسط سهل اليرموك بين الجيشين أقل من ميل، لم تصدر سوى حركات بسيطة لكن ما ظهر تحرك شامل، نظر المسلمون إلى الرومان مزينين بالأعلام والصلبان فوق رؤوسهم ونظر الروم إلى الجنود المسلمون ذوي التسليح الضعيف مقارنة بهم، ومرت ساعة دون أن تحدث الشرارة التي تبدئ المعركة فتقدم جنرال روماني يسمى جورج باتجاه المسلمين وطلب مقابلة خالد فخرج له خالد ظنًا منه أنه يريد المبارزة، وخالد كان يتمنى أن يبدأ المبارزة كي يكسر معنويات الكفار فظل سيف الروماني في جنبه دون إشهاره وطلب من خالد الأمان فأمنه خالد وطلب منه الاقتراب فاقترب حتى تعاكست أعناق الخيل، فقال الروماني

" يا خالد اصدقني القول ولا تكذبني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاك إياه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟ "

حيث كانت هناك إشاعات بين الروم أن هذا حدث فعلا لأن خالد اسمه سيف الله المسلول، فخالد صدق وقال لا فسأله جورج عن سبب تسميته بسيف الله فقال خالد

" إن الله عز وجل بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعًا ثم إن بعضنا باعد عنه وكذبه وفينا من صدقه فكنت من بين من كذبه وباعده وقاتله ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقال لي أني سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله والنصر يتوالى بدعاء رسول الله وأنا من أشد المسلمين على المشركين "

فقال جورج " يا خالد أخبرني إلى ما تدعو "

فبدأ يشرح له الإسلام والشهادتين ويشرح له دين الله فقال جورج " فمن لم يجبكم؟ "

قال خالد " يدفع الجزية ونحميه "

قال فإن لم يعط الجزية

قال "نؤذنه بالحق ثم نقاتل "

فسأل جورج عن مكانة من يسلم في ذلك اليوم فقال خالد مكانتنا واحدة فروضنا واحدة على شريفنا ووضيعنا فقال يا خالد فهل لمثل من دخل فيكم اليوم مثل أجركم؟ فقال نعم وأفضل لأنه يدخل دون ذنوب فشهد جورج الشهادتين، في بداية المعركة يدخل أحد قادة الروم في دين الله، وبدل الرجوع لجيشه مضى مع خالد وقاتل مع المسلمين وبعد بضع ساعات استشهد في هذه المعركة، ثم بدأت المبارزات وبرز عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق حيث قتل خمسة من الرومان مبارزة تلو مبارزة واستمرت المبارزات حتى منتصف الظهر عندها أمر ماهان بإيقاف القتال وبدء الهجوم الكاسح، فقرر اختبار قوة المسلمين وقرر أن تتقدم

عشرة صفوف فقط أي ثلث الجيش وتحركت هذه القوة البشرية الهائلة إلى الأمام حتى أصبحت على مدى رمي السهام فأنطلقت السهام وسببت شيئًا من الخسائر لكن استمروا يحمون أنفسهم وتقدموا حتى اصطدموا بالخط الأمامي للمسلمين، هنا ألقى المسلمون النبال واستلوا السيوف والتحم الصفان للقتال، الهجوم الروماني كان بطيئًا وغير صادم فلم يضغطوا ولم يندفعوا، ظل القتال جامدا إلى غروب الشمس وانتهى اليوم بخسائر طفيفة في الجانبين لكن كانت خسائر الروم أكثر، ومضى الليل في هدوء والنساء يضمدن جراح الجرحى ويحمسون رجالهم واستمر الدعاة والصحابة وأهل بدر ينكرون المسلمين بالقرآن والصلاة والصبر والجنة، خلال الليل تقدمت بعض المجموعات الرومانية لسحب القتلى فتصدى لهم بعض المسلمين ثم تركوهم يسحبون قتلاهم . ماهان في هذه الليلة عقد مجلس حرب لمناقشة خطط اليوم التالي فكان لا بد أن يفعل شيئًا لقهر الجيش المسلم فقرر أن يكون الهجوم التالي مع صلاة المسلمين للفجر ليفاجئ المسلمين قبل أن يستعدوا، علاوة على ذلك بدأ الترتيب لهجوم الخيالة أيضًا، وأيضًا كان التركيز على قضية الهجوم على الجانبين، في هذه الليلة اجتمع خالد أيضًا بأصحابه ويعيدون النظر في حساباتهم واستمرت الترتيبات طوال الليل وجاء وقت صلاة الفجر وكان المسلمون مستعدين لكنهم مشغولون بالصلاة، في هذه الفترة كان ماهان يراقب وكان التركيز أن يتحرك الجانبان مع تقدم بسيط للقلب، واشرف بنفسه على املعركة ووضع نفسه وحاشيته في أرض المعركة مع حرس مكون من ألفين من الأرمن، واستعد الجيش كله لهجوم الصباح المباغت،

حل الصباح وبدأ المسلمون يصلون وإذ بالهجوم من الكفار، فبدأ بقرع الطبول وتصدى الحرس للهجوم حتى أنهى المسلمون صلاتهم وبدأوا في القتال، كان خالد قد وضع هذا الأمر في حسبانه ووضع صفًا قويًا من المقاتلين يحرسون المصلين أثناء صلاتهم، فرجع الحرس بعد الصلاة ليصلوا واستعد المصلون للقتال، وكانت سرعة المسلمين في إنهاء الصلاة والانطلاق للقتال مفاجئة للروم فما وصلوا الجيش المسلمين إلا والجيش مستعد فبدأ التصادم بين الأجنحة بينما القلب لم يتحرك فقط تحرك محدود من الروم لتثبيت لوائي المسلمين في القلب، الآن تلقى جيش المسلمين الصدمة الشديدة، أمام ميمنة المسلمين بقيادة فاتح الفردوس عمرو بن العاص كان جيش قناطير الذي يتكون من السلاف، وثبت المسلمون بشجاعة وصدوا الهجوم فقام قناطير بإرسال دفعات جديدة، مجموعة تهاجم والباقي يرتاحون، فصد المسلمون الهجوم الثاني فأمر قناطير بإرجاع المجموعة الثانية وأرسل مجموعة ثالثة متخيلين العدد؟ وبدأ جيش المسلمين يشعر بالإرهاق ويظهر عليهم التعب، فبدأ الجناح بقيادة عمرو يتراجع، هنا في هذه الأثناء لما حدث هذا التراجع أمر عمرو كتيبة الخيالة المكونة من ألفي مقاتل أن يصدوا الهجوم ويطردوا الرومان، واندفع الخيالة إلى المعركة بعنف وجرأة واستطاعوا كبح تقدم الروم لكن تصدى لهم خيول الروم، وظل القتال بين الخيالة ثم أرسل ماهان مجموعة أخرى وقناطير أيضًا أرسل مجموعة أخرى من الخيالة وظلت الخيالة مجموعة تنسحب وأخرى تقاتل حتى أرهق المسلمون مشاة وخيالة واضطر المسلمون إلى التراجع ومع تراجعهم إذ بصف من النساء

بالحجارة يرمونهم ويقولون لستم بأزواجنا إن لم تنقذونا من المشركين وبدأوا يحذرونهم من الانهيار، أمام هذا الهجوم من النساء رجع المسلمون إلى المعركة، وبدأوا يصمدون في الميمنة وإلا كانت الميمنة ستنهار، في هذه الأثناء كان الموقف على ميسرة المسلمين لا يقل خطورة، هناك أيضًا هجوم شديد وتم اختراق لواء يزيد بن أبي سفيان وكان الجيش المواجه للواء يزيد بقيادة جريجوري ويسمى جيش السلاسل، فكان أبطأ بسبب السلاسل فاستخدم يزيد كتيبة الخيالة لشن هجوم مضاد على الروم لكن تم صد هذا الهجوم من قبل الروم وظل الروم أيضًا يرسلون قوة تلو قوة، بينما يضطر المسلمون أن يقاتلوا كل هذه القوات فأُرهِق المسلمون وأيضًا انكسرت ميسرة المسلمين فكانت النسوة في انتظارهم أيضا، كان كل ما يريده الجناحان هو الصمود بينما القلب ساكن دون قتال يذكر وكل هذا وخالد رضي الله عنه يراقب دون أي تدخل منه، فهو لم يكن ليتحرك إلا إذا انكسر الجناح لكن طالما الجناحان صامدان فإنه لن يتحرك، إلى أن وصل وقت الظهر وخالد لم يتحرك ورفض أن ينجر إلى الجنبين فالقلب أخطر لذلك لم يرسل قوات إلى الجناحين وعنده مجموعة من الحرس المتحرك لم يحركهم حفاظًا على القلب لأنه لو انكسر القلب سينفصل الجيش لقسمين يسهل حصارهما، لما عاد لوائي الجناحين إلى مكانيهما قرر خالد أن يهجم هجوما مضادا فأرسل المجموعة الاحتياطية التي عنده من الفرسان إلى الجناحين وقاد بنفسه مجموعة من الفرسان إلى الجناح الأيمن وبدا بهاجم جيش قناطير مع عمرو بن العاص في هجوم مضاد على الروم فهجم عمرو من أحد الجهتين على الروم وخالد من الجهة الأخرى

فاضطر الروم لما رأوا الهجوم يأتيهم من الجانبين أن يتراجعوا واسترد عمرو معظم الأراضي التي فقدها حين تراجع أمام جيش الروم هذا في الميمنة، لما تأكد خالد أن الوضع في الميمة قد استقر تحرك فورًا نحو الميسرة، هناك كان يزيد يقود اللواء وضغط الكفار عليه كان شديد وكان يضطر إلى التراجع إلى الخلف، هنا وضع خالد الكتيبة تحت قيادة ضرار بن الأزور وأمر أن يتقدم على مقدمة الجيش على القلب، حتى يحول أمر المعركة وببقية الجيش المتبقي مع خالد هاجم جيش جريجوري هنا ومع الهجمات المعاكسة من خالد من كل الجهات اضطر الروم إلى الانسحاب لكن بسبب الجنود المسلسلين ما استطاعوا التحرك بسرعة لذا كان الجناح الأيمن للروم اضطر للتقهقر، ومع عملية الانسحاب استطاع جيش ضرار أن يهاجم قلب الروم بقيادة دريجان ويخترقوه ويصلوا إلى دريجان نفسه واستطاع ضرار أن يقتله، فأصبح الضغط على جيشه شديدًا، فاضطروا إلى العودة إلى موقعهم الأصلي ومع غروب الشمس كان جناحي الروم قد تراجعا ووصل القلب على التماس مع قلب الرومان ورجعت الجيوش إلى مواقعها الأصلية في الصباح، بعد هزيمة المسلمين في البداية استطاعوا استعادة الأرض التي فقددوها والعودة إلى ما كانت عليه، وانتهى القتال وكفة المسلمين راجحة بمقتل هذا القائد الروماني، وكالعادة كانت النساء في الليل يضمدن الجراح ويطهون الطعام وخلافه من أعمال النساء، وبقي المسلمون في حالة ترتيب للدفاع، في معسكر الروم كانت الحالة سيئة فقد قتل منهم مئات إن لم يكن آلاف وعين ماهان جرين قائدًا على جيش دريجان، وانتقلت قيادة جيش الأرمن إلى قاطير

قائد ميسرة الروم، فبدت بعض التعديلات في جيش الروم لأن هجومهم الرئيسي كان ليكون في اليوم التالي، كانت خطة الروم في اليوم التالي هي الهجوم على ميمنة المسلمين ويمين القلب فيجروا المسلمين إلى هذه الجهة فيهجموا من اليسار.

بدأت المعركة في اليوم الثالث وبدأ القتال ولم يستطع جيش السلاسل أن يتحرك بنفس السرعة لأن روحه المعنوية كانت قد انهارت وجيش جرين هذا هجم هجومًا طفيفًا على القلب كي يثبته والجناح الأيسر للروم بدأ يتحرك، كل جبهات الروم كانت تتحرك لكن الضغط الأكبر كان على ميمنة المسلمين وعلى ميمنة القلب بقيادة شرحبيل، وركز الكفار على الهجوم على ميمنة عمرو وميمنة القلب بقيادة شرحبيل وعلى الهجوم على المسافة الفاصلة بينهما، صد عمرو وشرحبيل الهجوم الأول لكن الروم أعدادهم كبيرة فاستطاع قناطير قبيل الظهر بقليل أن يقتحم مزيد من هذه المناطق، الآن صار الوضع في منتهى الخطورة على المسلمين، بدأ الآن الضغط الحقيقي وخالد منتبه ومعه الحرس المتحرك، واضطر جيش عمرو والجزء الأيمن من جيش شرحبيل إلى التراجع، بينما الجزء الأيسر من لواء شرحبيل ظل محتفظًا بمكانه والآن ظهرت عدة ثغرات في جيش المسلمين والقوة الرئيسية من جيشي شرحبيل وعمرو استطاعت أن تكون خطًا فاصلًا لتحمي المسلمين من هجوم الروم وهنا قرر عمرو بن العاص اللجوء للهجوم لما رأى ثبات المسلمين وقام بضرب الروم بواسطة الخيالة والمشاة بقصد طردهم من المواقع الأمامية وقد نجح في هذا بعض النجاح ولما رأى خالد خطورة الموقف على الجانب الأيمن

لجيش المسلمين شن هجوما مضادا بحرسه المتحرك فهجم على جناح قناطير وفي الوقت ذاته هجمت كتيبة الخيالة التي عند عمرو هجمت على الجناح الأيسر لقناطير، وقام مشاة عمرو وشرحبيل بهجوم مضاد أيضا، في هذا الوقت كانت مقاومة الروم عنيدة أمام هجوم المسلمين، وظلوا ثابتين وتساقط مئات المسلمين بين جريح وشهيد حتى قرب المغرب ثم بدأ الروم في التقهقر وعاد الأمر لما كان عليه في البداية، كان هذا اليوم أصعب من اليوم السابق وكانت خسائر الروم أكبر من خسائر المسلمين، لكن الروح المعنوية لدى المسلمين بدأت ترتفع أكثر لقدرتهم على صد الهجوم الكاسح بل والقيام بهجوم مضاد، بينما انخفضت الروح المعنوية للروم وعرف اليأس الطريق القلوب الكثير منهم، وبدأ يؤنب قادته فأقسموا أن يكونوا في اليوم التالي أشد مما قبله وبدأ اليوم التالي وكان أصعب أيام المعركة، قبل أن يبدأ هذا اليوم كان خالد وأبو عبيدة قد قضيا ليلتهما يتجولان في المعسكر الخاص بالمسلمين يشجعون الرجال ويتحدثون إلى الجرحى، وحل فجر رابع أيام المعركة العظيمة في جو توتر والكل متحمس والروم يعلمون أن هذا اليوم سيكون يوما حاسما، لذلك حاولوا رفع الروح المعنوية لجنودهم وانتشر خبر أن هذا اليوم هو يوم الحسم بين الروم كالنار في الهشيم، وبدأ الدعاة يرفعون من شأن المسلمين فالكل كان ينوي حسم المعركة، خالد أيضًا كان يرتب أن يحسم الأمر في هذا اليوم، بدأ خالد يرتب نفسه أنه إذا استطاع صد هجوم الروم وفي نفس الوقت استطاع أن يكبدهم خسائر كبيرة فلن يستطيعوا القيام بأي هجوم مضاد، بدأ الأمر بالهجوم وبدأ الرماة يضربون الرماة والخسائر

كبيرة في الرماة في الجهتين ووزع الرماة على الألوية حوالي خمسمائة في كل لواء ولكن عدد رماة الروم كان أكبر من هذا بكثير، ووجد خالد أن الضعف يكمن في الجناح الأيمن، ولكن عمرو بن العاص رضي الله عنه أعطى التطمينات لخالد وكان عمرو مقاتلا فذا وداهية وكان يعتبر في القتال أنه الرجل الثاني بعد خالد، قرر ماهان تكرار الهجوم على النصف الأيمن من جيش المسلمين كما فعل في اليوم السابق، بناء على هذه الخطة تحرك قناطير في هذه الجهة وصمد عمرو ولكن جنوده أرهقوا فكلما تعبت مجموعة انسحبت فاضطر عمرو للتراجع للخلف كما فعل في اليوم السابق وأوقفهم النساء مرة أخرى فعادوا للقتال لما رأو النساء وبدأ الهجوم يزداد على المسلمين هجوم أعنف من كل الأيام السابقة هنا عمرو بن العاص رضي الله عنه أصدر اوامره بالهجوم لا الدفاع وكان هذا أمرًا غريبًا ولكن أطاع المسلمون الأمر وبدأوا في الهجوم وجيش المسلمين الذي كان مهزومًا بدأ في مهاجمة جيش الروم الذي يهاجم أيضًا فاصطدم الجيشان وبدأت الخسائر الجسيمة في الجهتين، هذا في الميمنة الخاصة بالمسلمين أما في القلب فكان قائد الجهة اليمنى منه شرحبيل فتمكن الأرمن من اختراق صف جيشه ودفعهم نحو المعسكر وتم دعم الأرمن في جيش الروم بالعرب النصارى التابعين لجبلة، وكان أخطر اختراق يحدث في جيش المسلمين في ميمنة القلب، هنا شرحبيل استطاع أن يصمد ما استطاع لكن وجد أنه لم يعد قادرًا على الصمود بسبب الهجوم المتتالي فطلب من خالد أن يسانده بالحرس المتحرك، كان أكثر ما يخشاه خالد أن يحدث القتال في كل الجهات لأنه إذا حدث في كل جهة لن يستطيع أن

يساند جهة ضعيفة، فتدخل خالد واعاد الوضع إلى الوضع السابق قدر ما استطاع لما رأى بداية نجاح الروم ضد عمرو وشرحبيل قرر أن يشغل الروم فأمر أبا عبيدة ويزيد بالهجوم من القلب والميسرة

حتى يشغلوا الروم في تلك الجهة فلا يعطونهم الفرصة المهاجمة المسلمين إذا انكسر الجناح الأيمن، عند الضحى كان جيش أبي عبيدة وجيش يزيد مشتبكان مع جيوش جرين وجريجوري في نفس الوقت كان موقف شرحبيل يزداد ضعفًا والضغط على النصف الأيمن من القلب يزداد شدة وبدأ هذا الجزء ينهار، الأن الميسرة تحرز تقدم بينما الميمنة وميمنة القلب في انكسار قسم خالد احتياطي الجيش الذي عنده إلى مجموعتين كلف قيس بن هبيرة بقيادة مجموعة وتولى خالد بنفسه قيادة المجموعة الثانية، تحرك خالد ومجموعته والتف حول لواء شرحبيل وظهر أمام الجناح الشمالي لجيش الأرمن وبدأ يهجم بهجوم معاكس بثلاث شعب ضد الأرمن والعرب النصارى، الهجوم كان من ثلاث جهات خالد من اليمين وقيس من اليسار وشرحبيل من المقدمة، كل هذا في ميمنة القلب واحتدم القتال في هذه المنطقة وقاوم الروم ببسالة ودار قتال عنيف أصعب قتال في هذه المعركة في الجزء الأيمن من جيش المسلمين واستمر عدة ساعات واستطاع في نهايته المسلمون دحر الأرمن بواسطة ضربات خيالة المسلمين وضربات خالد معهم فاضطر الرومان خاصة الأرمن إلى التراجع بعد تكبدهم خسائر فادحة وأيضًا كانت هناك خسائر كبيرة في صفوف العرب النصارى، لما أجبر الأرمن على التراجع عن ميمنة القلب قام عمرو بن العاص بالضغط لطرد السلاف فتراجع السلاف أيضًا تحت

ضغط عمرو بن العاص ورفضوا مساعدة الأرمن والأرمن رفضوا مساعدة السلاف كما قال تعالى

" تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى " صدق الله العظيم، وبذلك استعاد شرحبيل وعمرو ما خسراه من مواقع في القلب والميمنة، وظل الاشتباك في الميمنة جاريا حتى المساء وبينما يحدث الاشتباك كانت معركة عنيفة وقاسية تجري على الجانب الأيسر للمسلمين، ما جعل الخطر أكبر على الجانب الأيسر هو انشغال الحرس الاحتياطي من الخيالة بالميمنة وميمنة القلب، فكان يجب على أبي عبيدة ويزيد الاعتماد فقط على قواتهما، بناء على أوامر خالد لواء الجناح الأيسر تقدم المواجهة الروم في مواقعهم، لما حرك خالد الحرس المتحرك لمواجهة الأرمن بدأ اللواءان في الميسرة في الاشتباك وحققًا بعض النجاح وتم دحر الروم إلى الخلف وما حدث هذا إلا ورمى الروم بقوات ما زالت مرتاحة ورموا بقوات بالآلاف من النبالة فألقوا بنبالهم بكثافة على المسلمين، كانت السهام كالجراد وانتشر ضرب العيون وأصيب العديد من المسلمين في أعينهم ويقال إن أبا سفيان رضي الله فقد عينا في هذا اليوم وسمي هذا اليوم بيوم العيون أو يوم فقد العيون، هذا يشير لدقة رماة الروم في رمي النبال، ويعتبر هذا اليوم أسوأ أيام المعركة للمسلمين واضطر المسلمون في هذا الجانب للتراجع أمام النبال وبقي المسلمون والروم في أماكنهم .

ماهان اجتمع مع قادة الروم جريجوري وجرين لما شاهد الإصابات التي أصابت المسلمين والتراجع قرروا أن يستثمروا هذا الأمر، الميمنة مضغوطة وتتراجع والميسرة أصيب منها الكثيرون واضطرت للتراجع

فرأوها فرصة للهجوم على المسلمين قبل أن يتمكنوا من إعادة ترتيب صفوفهم وبدأ الصدام تيجة الهجوم الرومي من كل الجبهات وهذا ما كان يخشاه خالد، تحت هذا الهجوم الشديد تقهقر المسلمون إلى مواقعهم الأصلية وأراد الروم أن يحسموا هذه المعركة في هذا اليوم وبدأوا يقاتلون بعنف وضراوة ودحروا لواء أبي عبيدة ولواء يزيد لمسافة بسيطة لكن كتيبة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كانت تقف في الجانب الأيسر من القلب في قطاع أبي عبيدة، عكرمة صمد ورفض التراجع وطلب من رجاله أن يقسموا على الموت وعلى عدم التسليم فتقدم أربعمائة رجل إلى عكرمة وبايعوا على الموت ولم يكتفوا بهذا بل انقضوا على الروم في هجوم معاكس وانقض معهم عكرمة رضي الله عنه وصار الضغط كله على عكرمة ومن معه فأصيب الرجال جميعهم، يقول من شاهد المشهد فأصيبوا كلهم إما بجرح وإما شهداء ولكنهم أسقطوا من الروم أضعاف عددهم وأصيب في هذا الهجوم المضاد عكرمة وابنه عمر بإصابات بليغة، وظل الضغط على ميسرة المسلمين لكن أبو عبيدة ويزيد يصمدون قدر ما يستطيعون حتى اضطر النساء لحمل السيوف والدخول في المعركة لمعاونة الجيش، وبعض النسوة الذين لا يحسن القتال يحملون الماء لري العطشى والمصابين ويضمدن جراح المصابين، ومن ضمن النساء اللائي حاربن كانت خولة بنت الأزور وزوجة الزبير وأم حكيم التي صرخت في النساء اضربن الروم على الأيدي، تقدمت النسوة في الجيش حتى وصلن إلى الصف الأمامي، فأثيرت الحماسة في نفوس الرجال وبدأوا في الهجوم على الروم في بسالة نادرة، واستخدمت السيوف والحراب

واستطاع الصناديد في لواء أبي عبيدة ويزيد أن يدحروا الروم عن مواقعهم وتحت هذا الضغط والضربات المتتالية بدأ الروم يتراجعون وبلغت المعركة ذروتها مع وقت الظهر كل الألوية متشابكة وجميع القادة مشتركون في القتال، وكل قائد لواء أثبت أنه جدير بمكانته وكان منظر القادة وهم يحاربون ومنظر النساء وهن يحملن السيوف ويتقدمون الصفوف محمسا لجنود المسلمين فحمي وطيس المعركة، وفي هذه الأثناء أصيبت خولة بضربة في رأسها فظن النساء أنها قد استشهدت، لكن المسلمين ظلوا يتقدمون وبدأ الروم يندحرون، وبدأت النسوة تبكي لموت خولة وبدأوا يبحثون عن ضرار ولكن ضرار كان في المعركة فلم يعرف بالخبر سوى في المساء ولكن خولة كانت ما تزال حية فعالجها النساء واستطاعت أن تقف وابتسمت، واستمر القتال إلى الليل ولم يحسم أي طرف المعركة وعاد الجيشان إلى مواقعهما الأصلية كان يومًا عنيفًا لا ينساه صناديد الرومان أو المسلمين، معظم خسائر الروم كانت في جيش السلاسل وجيوش الأرمن والعرب النصارى، خسائر المسلمين في اليوم الرابع كانت أكبر خسائر تكبدها المسلمون حتى هذا اليوم وعدد الذين جرحوا كان أضعاف الذين لم يجرحوا فكان معظم الجيش إما مقتول أو جريح ومع ذلك كانت الروح المعنوية مرتفعة لديهم وديت في نفوسهم العزة عزة الإسلام، وأيقن خالد أن النصر صبر ساعة، هبط الظلام وكان خالد رضي الله عنه يتفقد أرض المعركة وإذ بالأرض كلها دماء وإذ بعكرمة وعمر بن عكرمة موجودان على الأرض يحتضران فوضع على إحدى الركبتين رأس عكرمة وعلى الركبة الأخرى رأس عمر بن عكرمة

وخالد يمسح عن وجهيهما ويقطر في حلقهما الماء ويقول هنيئًا لكما الشهادة، مات هذان البطلان المجاهدان على ذراعي سيف الله المسلول هؤلاء هم ابن وحفيد أبي جهل عدو الإسلام دارت بهما الأيام ليكونوا في المنزلة الأعلى من الجنة، مضت الليلة في هدوء وارتاح المنهكون وعولج الجرحى وكان أبو عبيدة من عادته أن يعين حارس كل ليلة ليراقب الوضع في حال حدث هجوم في الليل، فقرر في هذه الليلة قرارًا عجيبًا حيث قرر ألا يرتاح ويكون هو الحارس مع مجموعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وبدأ يتجول وإذ في كل مكان القادة يقظين منتبهين وإذ في كل مكان الحرس يقظين لكل هجوم وإذ بالزبير وزوجته كل منهم على فرس يطمئنون على المسلمين وأنه لن يغدر بهم الرومان وجاء اليوم الخامس وفي صباح هذا اليوم فتح الجيشان الكتائب على نفس الخطوط التي اتخذوها قبل بداية المعركة لكن التعب والإرهاق كان قد بديا على الجهتين، وكان الجرحى أكثر من الأصحاء وأخذ خالد ينظر بإمعان إلى جبهة الروم يراقب أي تحركات خاصة إذا كان هناك نية هجوم فوجد بحنكته العسكرية أنه لن يحدث أي هجوم قبل ساعة أو ساعتين في هذه الأثناء إذ يظهر رجل من قبل جيش الروم أرسله ماهان يقترح إقامة هدنة لبضعة أيام من أجل إجراء مفاوضات بين الجانبين، جاء هذا الرجل إلى أبي عبيدة وكان أبو عبيدة على وشك قبول العرض لكن خالد وقف وقال إياك أن تقبل الأمر بدأ ينقلب لنا، وهنا تتجلى حنكة خالد فوافقه أبو عبيدة ورفض الهدنة ومضى خالد يرتب قواته للهجوم المعاكس وبعض الترتيبات لإعادة تنظيم الجيش فجمع كافة كتائب الخيالة في كتيبة واحدة

وجمع معها الحرس المتحرك فصارت قوة الخيالة المكونة من ثمانية آلاف فارس بقيادته شخصيا، ماذا ينوي يا ترى؟ هذا ما دار في بال قادة الجيش لكنهم كانوا يثقون ثقة كبيرة في حنكته ودهائه العسكريين، كان خالد رضي الله عنه ينوي أن يحسم المعركة في سهل اليرموك ومر اليوم الخامس بلا قتال وبزغ فجر اليوم السادس يوم عظيم من أيام اليرموك في الأسبوع الثالث من رجب عام ١٥ هجريا، دب في المسلمين النشاط في هذا اليوم علاوة على إعادة ترتيب خالد لهم للهجوم هذه المرة بدلا من الدفاع الذي اعتادوا عليه في أيام المعركة واصطف جيش الروم أيضًا وخرج في قيادة المعركة جريجوري قائد جيش السلاسل وأحد قادة الجيش الرومي بقيادة ماهان يطلب المبارزة ويطلب أن يبارزه قائد المسلمين بنفسه أبو عبيدة، وكان أبو عبيدة رضي الله عنه بطلا ومقاتلا لكنه كان اقل من خالد في أمور المبارزة وجريجوري كان مشهورًا ببراعته في الحرب ورأوه المسلمون يقاتل في الأيام السابقة فطلبوا من أبي عبيدة ألا يخرج وأن يدع خالد يخرج لقتاله، فهنا أخذ أبو عبيدة الراية وانطلق نحو خالد وفعل فعلًا عجيبًا حيث وضع الراية في يد خالد وقال

" إن لم أعد فأنت أمير الجيش "

وانطلق نحو جريجوري وبدأ القتال وتعالت الهتافات بين المسلمين لكن أبو عبيدة كان من يتعرض للضغط لأن جريجوري كان أبرع منه فيما يتعلق بحمل السيف لكن صمد أبو عبيدة فلما رأى جريجوري صمود أبي عبيدة انسحب فلحق به أبو عبيدة وبدأ يجري خلفه وهو في اتجاه جيش الروم وإذا فجأة يلتفت جريجوري ليضرب أبا عبيدة على رأسه بالسيف

وإذ به يفاجأ بسيف أبي عبيدة في عنقه فتركه أبو عبيدة وعاد والمسلمون يكبرون فرحين بقائدهم الذي هزم أبرز فرسان الروم، خالد في هذا اليوم كما سلف ذكره كان قد جمع كل الخيالة في جيش من ثمانية آلاف فارس، وأعطى بعد مقتل جريجوري الأمر بالهجوم فهاجم الجيش المسلم الجيش الروماني والتفت جيش خالد من الخيالة حول جنب الروم الأيسر، وفي نفس الوقت أخذ خالد مجموعة من الخيالة وضرب مجنبة ميسرة الروم، فكانت الميسرة الرومانية تهاجم من اليمين ومن اليسار ومن الأمام، فصمد جيش الميسرة الروماني من السلاف المعروفين بشجاعتهم لكن خيالة الروم ضعفت أمام خيالة المسلمين - كما قال خالد أثناء اختيار مكان المعركة أن العرب خير من الروم فيما يتعلق بركوب الخيل - وبدأ الاندحار في ميسرة الروم أمام جيشي خالد وعمرو وبدأوا يتحركون نحو القلب، فانكسرت الميسرة، لما تداعى جناح الروم الأيسر حرك عمرو بن العاص رضي الله عنه بحنكته العسكرية لواءه إلى اليسار ليمنع ميسرة الروم من الانضمام إلى القلب، واشتدت الفوضى في صفوف هذه المجنبة وبدأ الروم الذين يستطيعون الفرار ينضمون للقلب بفوضى شديدة، في غضون ذلك أسرع خالد بخيالته واشتبك مع خيالة ميسرة الروم التي بدأت تتقدم لإيقاف هذه الفوضى لكن خالد أوقفهم وحرص على أن يستمر الهجوم على ميسرة الروم، وقام شرحبيل بمهاجمة جبهة الأرمن في القلب وبدأت الضربات تتوالى كل هذا في جانب جيش المسلمين الأيمن، هنا صار شرق المعركة تحت سيطرة المسلمين أما جهة الغرب والشمال كانتا مفتوحتان فكان ضغط المسلمين شديدًا ليتجه الروم نحو

منحدر وادي اليرموك، خالد في هذه الفترة كان هدفه منع الخيالة من الوصول إلى المشاة فالمشاة هم القوة الضاربة للجيش لكن بدون خيالة يصبح المشاة غير قادرين على التحرك أو حماية أنفسهم أمام حركة الخيول السريعة، الآن استطاع أن يهاجم المشاة بعد طرد الخيالة، ماهان لما رأي تحرك الخيالة في جيش واحد أمر بجمع كل خيالته في جيش واحد قوي خلف قلب الروم ليهجم بهم بهجوم مضاد ليستعيد المواقع المفقودة بواسطة الخيل السريعة، قبل أن تتمكن خيالة الروم من الهجوم وإذ بخالد كان قد كسر خيالة الميسرة وبدأ يهاجم خيالة الروم من الأمام ومن الجنب، قاتل الروم بشجاعة لكن خيالة الروم كان لديها مشكلة كبيرة حيث إن الخيل يكون فوقه الروماني مدجج بالسلاح وكان الخيل نفسه مغطى بالحديد فكانت الخيول الرومانية بطيئة مقارنة بخيول المسلمين فيضرب المسلمون ويتملصون ويناورون في حين لا يستطيع خيالة الروم سوى الدفاع، فما استطاعت خيل الروم مواجهة خيل المسلمين، المعركة الآن صارت معركة جيوش خلف قلب الروم، فرأى ماهان أنه لا فائدة قد تحدث من هذا القتال فأمر ماهان بالتراجع نحو الشمال، تراجعت خيالة الروم وعددها ٤٠ ألف فارس أمام ثمانية آلاف فارس بقيادة خالد، هذه المعركة كانت قد افتقدت مشاركة ضرار، ضرار كان قائد الخيالة عادة فقد فُقد ضرار من أرض المعركة أثناء ذلك كان الأرمن يحاولون بشدة إيقاف هجوم عمرو وشرحبيل لكن استطاع جيش المسلمين أن يتقدم، صمد الأرمن كثيرًا أمام المسلمين، في هذا الوقت كان أبو عبيدة ويزيد في قلب الجيش وميسرته يهاجمون الروم لكن جيش

جرين وجيش السلاسل كانا صامدين أمامهما فالمعركة تقريبًا متعادلة في كافة مواقعها ما عدا خالد هو الذي بدأ يكسر خيالة الروم وعمرو بن العاص الذي بدأ يكسر ميسرة الروم، في هذه الأثناء بعدما طرد خالد خيالة الروم من المعركة هاجم قلب الروم من خلفه وأيضًا بدأ عمرو يهجم على الجيش من جهة الشرق فالآن صاروا مشاة بلا خيالة فيسهل الهجوم عليهم بالخيول وبدأ الروم يفرون نحو الغرب ودهشوا أن خيالة المسلمين لم تلحق بهم وتركوهم ينسحبون فبدأ الجيش ينسحب بنظام، جميع الجيوش شعرت أنها لا تستطيع البقاء في مواقعها لأن جانبهم الأيسر قد انكسر، والمؤخرة أصبحت مكشوفة فأمرت كافة القوات حتى التي في القلب والميمنة بالانسحاب نحو الغرب، الآن حل الظهر ومشاة الروم في تقهقر بنظام ما عدا المجموعة التي فرت بذعر أمام ضربات خالد وكان من ضمنهم ماهان القائد الأعلى للجيش، بدات ألوية المسلمين تضغط على الروم المنسحبين، أغلق المسلمون كل طرق الفرار ما عدا الغرب، وبدأ رجال مقدمة الروم يهاجمون المسلمين ليسمحوا للجيش أن يعبر من المخاضة بين منحدرات وادي اليرموك وإذ بالمفاجأة العجيبة، على هذه المخاضة مجموعة من الأبطال يرأسهم شاب نحيل الجسم عاري الصدر هو ضرار بن الازور رضي الله عنه كان خالد قد أرسله في الليل والتف حول المنطقة كلها وسيطر على هذه المنطقة التي لا تحتاج سوى خمسمائة رجل للسيطرة عليها فاستطاع الآن خالد أن يحكم ما يسمى عسكريا بالكماشة على الروم، استطاع المسلمون الوصول لهذه المنطقة بعد إغراء أحد العرب النصارى يسمى أبو جبير وأخفى ضرار

جيشه الصغبر هذا حتى ظهر الروم، كان ضرار وجيشه في منطقة أعلى من جيش الروم وعسكريا من يحكم قبضته على المكان المرتفع يسهل عليه تماما أن يسيطر على مجرى المعركة ما لم يكن هناك تفوق كاسح، لكن في هذه المنطقة أكبر عدد يمكنه العبور هو خمسمائة رجل فالأعداد متساوية والموقع في صف المسلمين، أخذ ضرار وجيشه يلقون الروم بالحجارة فما استطاعوا التقدم فقاتلوا المسلمين فلم يستطيعوا اختراقهم فعادوا

على من ورائهم، لما رأى الموجودن في الجيش أن الطريق سد عليهم ما كان باستطاعتهم أن يعملوا شيء بسبب ضيق الطريق فتحول الآن جيش الروم للدفاع عن نفسه والهجوم على الروم وشيك من الشرق، فنشر قادة الجيش جيشهم وبدأت محاولة الدفاع جاعلين ظهورهم باتجاه وادي الرقاد الذي سيط عليه ضرار وجنبهم إلى نهر اليرموك فوقعوا بين نارين المسلمين المهاجمين من جهة والوادي الذي وراءهم من جهة أخرى، بعد ظهر اليوم السادس من المعركة كانت المرحلة الأخيرة من هجوم المسلمين، كان في هذه الفترة ثلث الجيش الروماني فقط بقى أما الثلثين فقد استطاع الهروب من المعركة قبل إحكام الكماشة، الآن الثلث هذا محاصر من قبل المسلمين حيث شكل المسلمون حولهم نصف دائرة منتظمة والمنطقة وراءهم هي الوادي، جيش المسلمين الباقي كان حوالي ثلاثين ألف مقاتل، الآن سيطر خالد وجيشه على أرض المعركة والآن عملية قتال جنود بجنود فبدأ الضرب بين المهاجمين بالسيوف والرماح، نتيجة الرجوع مقاتلي الروم للخلف بسبب ضغط المسلمين بدأت صفوف الروم تنهار واحدا تلو الآخر والمسلمون يتقدمون عبر هذه

الصفوف ويضربون بعنف وضراوة والروم يدافعون ويهربون، كثير ممن لم تكن حركتهم سريعة سقطوا تحت خيول المسلمين، تقدم ضرار ليضغط على الروم من جهة وخيول خالد تتقدم وتمتزج صيحات المسلمين وتكبيراتهم بصرخات الروم، وتحولت المعركة إلى مجزرة وقهر الروم وبدأوا يخرجون بشكل غير منتظم وبدأ المربطون بالسلاسل يسقطون فإذا سقط واحد جر معه عشرة، انتهت هذه المعركة بعد سقوط الروم في الوادي فرادى وهم يصرخون ويتدحرجون وفقد الروم في هذه المعركة أعدادًا كبيرة يقول الطبري أنهم فقدوا أكثر من مائة وعشرين ألف قتيل، ويقدرهم غيره بسبعين ألف قتيل وهذا الرقم هو الأقرب للصواب، أما شهداء المسلمين فكانوا على أقصى تقدير أربعة آلاف شهيد، خسائر الروم كانت مضاعفة من قتلى وخسائر سياسية حيث انسحب ماهان وجزء كبير من الجيش إلى دمشق . وللحديث بقية حيث إنه بينما كان المسلمون منشغلين بمداواة الجرحى وجمع الغنائم وترتيب أمورهم كان خالد رضي الله عنه كان قد طلب من أبي عبيدة رضي الله عنه الإذن المتابعة ماهان قبل وصوله إلى دمشق حيث إنه إن وصل إلى دمشق سيتحصن بها وتبدأ معركة جديدة، وكان من عادة خالد أنه من نصر إلى نصر لا يترك عدوه يتحصن ويستغل الفرص بينما كان من طبيعة أبي عبيدة أنه كان دائما ما يستأذن الخليفة، لكن تحت ضغط خالد أذن له أبو عبيدة، وفعلا تحرك خالد ووجد جيش ماهان قبل أن يصل دمشق بأميال، تصدى بعض خيالة ماهان لجيش خالد السريع وماهان يريد الإسراع إلى دمشق قبل أن تغلق أبوابها لقدوم المسلمين، تصدي خيالة الروم لجيش المسلمين وإذ

بخالد يكتسحهم اكتساحًا فجيشه منتصر منظم على عكس جيش الروم المنكسر غير المنظم فإذ بماهان بنفسه يتصدى لخالد بباقي الجيش فحدثت الآن المعركة التابعة لمعركة اليرموك معركة دمشق وفعلا استطاع خالد أن يكسر الروم مرة أخرى، وقتل في هذه المعركة ماهان نفسه وفر جنود الروم في كل اتجاه، اتجه بعضهم نحو دمشق فأغلقت دمشق أبوابها فأسقط في أيديهم فذهبوا للشمال والغرب نحو البحر ليلجؤوا لهرقل في أنطاقية . لما وصل خالد إلى دمشق إذ بأهلها يفتحون الأبواب، قالوا يا خالد نحن اتفقنا معك على اتفاق قبل سنتين وأنتم لما رأيتم ضغط الروم عليكم انسحبت وأعدتم الروم إلينا، نحن نريد الاتفاق معكم مجددا، وهنا يتجلى الفرق بين حضارة المسلمين وتعاملهم وبين حضارة الروم وتعاملهم، وفعلا وافق خالد على تجديد العهد الذي كان قبل عامين من ذلك الحين وفتحت دمشق للمسلمين بدون قتال . في هذه الأثناء وصلت الأخبار إلى هرقل في أنطاكية التي كانت في شمال الشام مطلة على البحر المتوسط وكانت مقر هرقل وعاصمته العسكرية التي يحرك منها الجيوش في الشام، لما وصلته الأخبار خاف على نفسه وقال الآن لا يقف أمامهم أحد حتى يصلوا لأنطاقية فأخذ حاشيته واتجه نحو القسطنطينية وقال

" وداعا يا سوريا وداعا لا لقاء بعده".

وانتهى عاصم بالفعل من كتابة الفصل الأخير من كتابه أو روايته وسموه كما تحبون وها هو يوم الخميس وها هو عاصم يهذب لحيته ويرتدي أجمل الثياب ويضع من العطر المفضل لحبيبته ليلى ويركب سيارته وينطلق وهو يرتب الكلمات في ذهنه والبسمة مرسومة على شفتيه كأنه وجد جني

الأماني وتحققت كل أمانيه ووصل أخيرًا إلى المنزل المرجو الوصول إليه وكان طريقه سهلا وكأن القدر أراده أن يصل بسهولة لأن ما حدث في الأعلى لم يكن سهلا عليه على الإطلاق، صعد خالد ورن الجرس وفتح له السيد مروان الباب والابتسامة تزين وجهه ولكنها ابتسامة يشوبها شيء غريب أدركه عاصم لكنه لم يصل إلى هذا الشيء لكنه ظن خيرًا أنه سعيد بابنته الكبرى لكنه يصعب عليه فراقها ودخل والابتسامة لم تفارق كليهما طوال جلستهما وبمجرد أن جلس عاصم حتى نادي السيد مروان على ليلى على عكس المعتاد في مثل هذه الأحيان، دخلت ليلى تحمل في يدها ثلاثة أكواب من عصير البرتقال الذي يحبه عاصم على صينية من الخزف، وجلست بجوار أبيها تكتم الدموع ولكن الابتسامة لا تفارق وجهها هي الأخرى ولاحظ عاصم هذا الأمر لكنه لم ينبس ببنت شفة حتى تحدث مروان بعد صمت دام دقيقتين أو ثلاثة

مروان: تحدث يا بني لقد قلت أنك تريد التحدث إلي وها أنا أمامك

عاصم: حسنا يا عمي أنا هنا لطلب يد ابنتك وأعتذر على قدومي وحدي لكن والداي قد توفيا منذ مدة

مروان: لا داع للاعتذار يا بني فليلى قد أخبرتني، أما بالنسبة لخطبة ابنتي فإنك لا تزال طالبًا كما أعلم

عاصم: نعم ولكني ورثت شركة استيراد وتصدير كبيرة من والدي رحمه الله ويدخلني ربح جيد منها كل شهر بفضل الله تعالى

مروان: لكنكم ما زلتم صغار على مثل هذه المسؤولية

عاصم: ونحن لن نتزوج الآن يا عمي سنظل مخطوبين فترة ليست بالقصيرة بحيث نصبح جاهزين المثل هذه المسؤولية

مروان: يعجبني أسلوبك ورقيك في الحديث لكن ...

ليلى: كفى يا أبي سأخبره من حقه أن يعرف

مروان: لكن يا ليلى أن...

ليلى: من حقه أن يعرف وسأخبره

عاصم: تخبريني ماذا ؟ ما الذي يجري؟

ليلى: ألم تسأل نفسك يوما لم بدأت الحديث معك ولم أنتظرك أن تحدثني؟

عاصم: ربما لأ...

ليلى: لن تخطر ببالك الإجابة حسنا سأخبرك، الإجابة المتوقعة التي عجزت عن قولها لجلوس أبي هي أنني أحبك وأنا لا أستحي أن أعبر عن هذا الحب أمام أبي لأنه من أخبرني أن أحدثك في المقام الأول لكن هناك سبب آخر

عاصم: ما هو ؟

تقول ليلى باكية بعد أن أطلقت العنان لدموعها لتسيل على خديها كقطع من الماس: أنا مريضة بسرطان الدم من الدرجة الأولى وأردت أن أكون معك في ما تبقى لي من حياتي لأني لا أنوي أن أسلك طريق العلاج الكيماوي

بدت الدهشة على وجه عاصم وسالت من عينه اليمني دمعة حفرت طريقها على خده ومروان يراقب في صمت

عاصم: ولماذا لا تنوين أن تسلكي طريق العلاج الكيماوي ؟

ليلى: لا أريد أن تكون الصورة الأخيرة لي في عيون من أحبهم هي تلك الصورة القبيحة بدون شعر بدون حاجبين بدون رموش، لا لن أفعل في نفسي هذا

عاصم: ماذا لو كان هناك من سيحبك في هذه الحالة

ليلى: الحديث سهل لكن في حال رأيتني في هذه الهيئة لن تبقى يوما

عاصم: ومنذ متى وأنا شخص يتحدث ولا يفعل، بعد إذنك يا عمي أنا أريد أن أتزوج ليلى الأسبوع القادم

صُدم مروان من حديث عاصم واندهش لكنه شعر من داخله شعورًا بالفرحة بدا على وجهه وكذلك صدمت ليلى لكنها أبدت فرحتها بعودة الابتسامة إلى وجهها مرة أخرى

مروان: لكن يا ولدي أنتم ....

عاصم: يا عمي بلا لكن أرجوك، أنا أريد أن تحيا ابنتك وبالطبع أنت تريد ذلك فلم التأخير؟ ألا تخشى أن تتطور الحالة؟

مروان: بالطبع أخشى هذا لكني لا أستطيع أن أتخذ مثل هذا القرار دون معرفة رأيها

عاصم: ألا يبدو الرد على وجهها ولكن من حقك أن تسمعه منها، ليلى هل تقبلين الزواج مني ؟

ابتسمت ليلى مرة أخرى وانحبست دموع الحزن وانطلقت دموع الفرحة وهزت رأسها بالموافقة

مروان: لا حديث بعد حديثك يا ولدي أوافق فلنقرأ الفاتحة

عاصم: لكن هل تقبل أن تعيش ابنتك في شقة قديمة، إن لم تقبل بهذا سأشتري شقة جديدة اليوم وسأجهزها بكل شيء

مروان: يا بني حياة ابنتي أهم لدي من هيئة أو شكل الشقة فلنقرأ الفاتحة

وبالفعل قرأ الفاتحة وعين عاصم لا تفارق عين ليلى والابتسامات تزين كل الوجوه وبالفعل تزوجها عاصم وعاش معها رحلة العلاج الصعبة وبعد فترة ليست بالقصيرة ولا بالطويلة تعافت ليلى تماما من السرطان وبدأ شعرها في النمو مجددًا ونجح كتاب عاصم الذي عدل فيه الكثير من التعديلات نجاحًا كاسحًا وبعد عام كامل من تعافي ليلى ژزق عاصم بفتاة جميلة سماها فاطمة تيمنا بفاطمة الزهراء رضي الله عنها وعاش عاصم وزوجته وابنته في سعادة كبيرة وكتب عاصم العديد من الكتب التي حققت نجاحًا كبيرًا وصار كاتبًا كبيرًا يضرب به المثل .

المصدر التاريخي للقصص الإسلامية هو فيديوهات الشيخ طارق سويدان عن سيرة سيدنا عمر رضي الله عنه وسيدنا خالد رضي الله عنه .